بداية الوصول
بشرح
صحيح الأمهات والأصول

جمع

عبد الله عبد القادر التليدي

عفا الله تعالى عنه

المجلد الثاني عشر

ويشتمل على الفيء وأشراط الساعة الصغرى والكبرى
وقيام الساعة والبعث والنشور ويوم الجزاء والجنة والنار

دار ابن حزم

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية الوصول
بلب
صحيح الأمهات والأصول

جمع

عبد الله عبد القادر التليدي
عفا الله تعالى عنه

المجلد الثاني عشر

ويشتمل على الفتن وأشراط الساعة الصغرى والكبرى
وقيام الساعة والبعث والنشور ويوم الجزاء والجنة والنار

دار ابن حزم

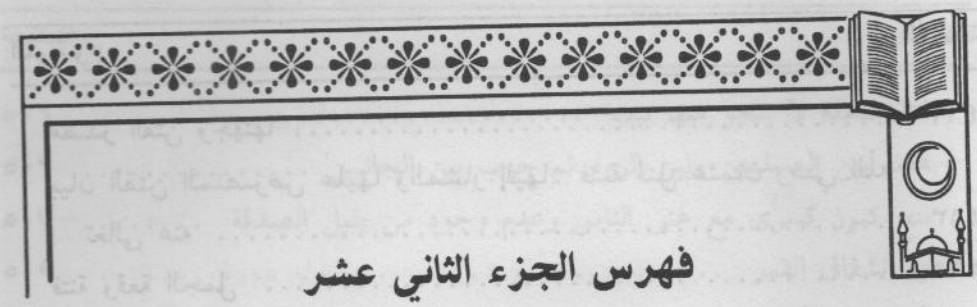

فهرس الجزء الثاني عشر

الموضوع	الصفحة
كتاب الفتن وأشراط الساعة	٤٣١
تنبؤه ﷺ بكثرة الفتن وأنها تعم جميع البيوت	٤٣١
الفتنة التي تموج كموج البحر	٤٣٢
ما موقف المسلم من الفتن إذا كثرت وانتشرت	٤٣٤
عرض الفتن على القلوب وذهاب الأمانة ومدح الخوَنة	٤٤١
مبادرة الفتن المظلمة المضلة بالأعمال الصالحة	٤٤٣
أشقى الناس بالفتن العرب	٤٤٤
فزع النبي ﷺ من نزول الفتن	٤٤٥
لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه	٤٤٦
تقاتل المسلمين وما سيكون بينهم من البأس وأنهم سيسلطون على بعضهم بعضاً	٤٤٧
كثرة الهرج والعبادة فيه	٤٥٢
نزول عقاب الله عند ظهور الشر وعدم تغييره	٤٥٣
الخسف بالبغاة وأهل الفساد	٤٥٤
ذهاب الصالحين وتسليط الأشرار على الأخيار	٤٥٧
التمسُّك بالدين والصابر عليه عند الفتن وتغرُّب الإسلام	٤٥٨
تمنِّي الموت عند الفتن	٤٥٩
هلاكُ الأمّة على يد أُغَيْلِمَة	٤٥٩
الأمراء المُضِلُّون والإنكار عليهم	٤٦٠

الموضوع	الصفحة
مصدر الفتن وجهتها	٤٦١
بيان الفتن المنصوص عليها والمشار إليها: فتنة قتل عثمان رضي الله تعالى عنه	٤٦٣
فتنة وقعة الجمل	٤٦٥
فتنة وقعة صفين	٤٦٩
فتنة قتال الخوارج	٤٧١
فتنة قتل الإمام علي رضي الله تعالى عنه	٤٧٥
فتنة قتل الحسين عليه السلام	٤٧٧
فتنة القتال على الدنيا والملك	٤٨٠
فتنة الأحلاس وغيرها	٤٨١
ثلاث فتن لا يتركن شيئاً	٤٨٢
فتنة قتال الروم للمسلمين واستعمارهم بلادهم	٤٨٣
فتنة صحبة ذوي السلطة والدخول عليهم	٤٨٨
فتنة الدنيا	٤٩٠
فتنة الأولاد	٤٩٢
فتنة النساء	٤٩٣
فتنة تفرُّق الأمة	٤٩٧
فتنة اتباع الكفار والتشبُّه بهم	٤٩٨
عذاب هذه الأمة الفتن والزلال والقتل	٥٠٠
كتاب أشراط الساعة	٥٠١
للساعة أشراط صغرى وكبرى	٥٠٢
العلامات الصغرى: بعثة النبي ﷺ	٥٠٣
موته ﷺ من أشراط الساعة في أشراط أخرى	٥٠٣
موته ﷺ	٥٠٤
فتح بيت المقدس	٥٠٥
مَوْتَان كقُعَاص الغنم	٥٠٥
استفاضة المال	٥٠٥

الموضوع
فتنة شاملة لا ينجو منها ي
هدنة بين المسلمين وبين
فتح كنوز كسرى مع غنى
آية انشقاق القمر
الفتوحات الإسلامية
آيتان عجيبتان
تكلُّم السباع والفخذ والس
عدة أشراط
أشراط أخرى متنوعة جامع
المباهاة والمفاخرة في بناء
صيرورة بلاد العرب مروجاً
أسعد الناس بالدنيا السقطاء
ظهور أقوام يأكلون بألسنته
تضييع الأمانة
المسخ والخسف والقذف
الكاسيات العاريات
حسر الفرات عن كنز أو جب
سنون خدّاعة
البيوت الموشاة وشي المراح
قتال الترك والأعاجم
ستة أشراط في نسق واحد
من أشراط الساعة ظهور النا
تَخَبُّطُ الناسِ في اكتساب الم
التحذير من الدجاجلة الكذّابي
شُرَطَ آخرِ الزَّمَانِ
موت الفجأة
انتشار دين الإسلام وظهوره

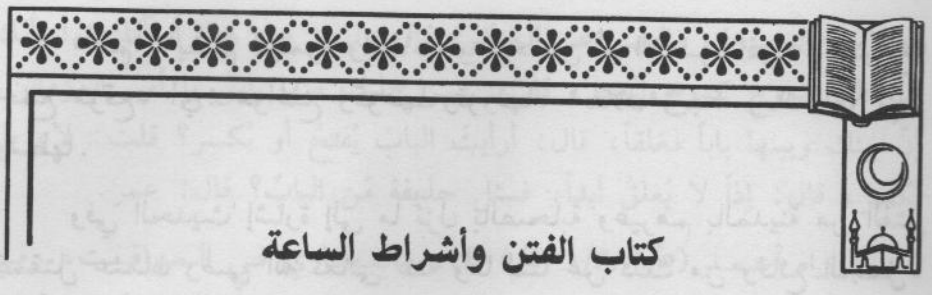

كتاب الفتن وأشراط الساعة

أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت في كل ما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو كان آيلاً إليه كالكفر والإثم والعذاب والقتال والإفساد والمال والأولاد والاختلاف... وكلها إطلاقات جاء بها القرآن والسنة، غير أن أكثر ما جاءت به الأحاديث في التحذير من الفتنة، فتنة الحروب والمقاتلة على المُلك والسلطة كما يبدو من الأحاديث الآتية. نسأل الله عزّ وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجنّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ولنشرع في ذكر ما جاء في شأن الفتن عن النبي ﷺ مستعينين بالله عزّ وجل فنقول:

* * *

❁ تنبؤه ﷺ بكثرة الفتن وأنها تعم جميع البيوت

[١] عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ أشرف على أُطُم من آطام المدينة ثم قال: «**هل تَرَوْنَ ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**إني لأرَى مواقِعَ الفِتَنِ تقع خلال بيوتكم كمواقع القَطْر**».

رواه البخاري في علامات النبوة (٤٢٥/٧) وفي الفتن (١١٩/١١٨/١٦)، ومسلم في الفتن (٧/١٨) أيضاً.

«أطم»: بضم الهمزة والطاء هو الحصن أو القصر. قوله: «مواقع» جمع موقع، أي: مواضع وقوعها ونزولها. «خلال»: بكسر الخاء، أي: وسطها.

وفي الحديث إشارة إلى ما نزل بالصحابة وغيرهم بالمدينة من الفتن كمقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وما نشأ عن ذلك من وقائع الجمل، وصفّين، والنهروان، وغير ذلك، فإن الجميع كان سببه قتل عثمان بالمدينة ثم انتشرت الفتن في البلاد.

[٢] وعن كرز بن علقمة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تقعُ الفتنُ كأنها الظُّلَلُ، تعودون فيه أساوِدَ صُبًّا يَضربُ بعضُكُم رِقابَ بَعْضٍ»**.

رواه الطيالسي (٥٢)، وأحمد (٤٧٧/٣)، وابن حبان بالموارد (١٨٧٠)، والحاكم (٤٥٥/٤) بسند صحيح.

«الظُّلَل»: بضم الظاء وفتح اللام، هي كل ما أظلّ الإنسان، ويريد بذلك كأنها السحاب أو الجبال. «أساود»: جمع أسود وهو أخبث الحيّات والثعابين وأعظمها. «صُبًّا»: بضم الصاد جمع صبوب.

ومعنى الحديث أنكم ستصيرون كالأفاعي إذا أرادت النهش واللدغ ارتفعت ثم انصبّت على اللديغ، وكذلك ستفعلون مع بعضكم بعضاً، وقد حصل ما تنبأ به ﷺ بين الصحابة كما هو معلوم.

* * *

❋ الفتنة التي تموج كموج البحر

[٣] عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، قال: هات، قلت: ذكر فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، **«تكفرها الصلاةَ، والصدقة»**، وفي رواية: **«والصيام»** وفي أخرى:

«**والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» قال: ليس عن هذا أسألك، أسألك عن التي تموج كموج البحر، قلت: ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين، إنّ بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أرأيتَ البابَ يُفتحُ أو يُكسر؟ قلت: لا، بل يُكسرُ، قال: إذاً لا يُغلقُ أبداً. فسئل حذيفة مَن البابُ؟ قال: عمر.

رواه أحمد (٥/٣٨٦/٤٠١/٤٠٥)، والبخاري في المواقيت، وفي الزكاة، وفي الصيام، وفي التفسير، وفي الفتن (١٦/١٥٩)، ومسلم (١٨/١٦/١٧)، وابن ماجه، كلاهما في الفتن.

قوله: «تموج» أي: ترتفع وتضطرب. وقوله: «بينك وبينها باباً مغلقاً» يعني: بينك وبين زمانها باب مغلق وهو وجودك.

وفي الحديث فوائد:

أولاها: اختصاص حذيفة رضي الله تعالى عنه بالاطلاع على الفتن المرتقبة، وأنه كان له علم بها بتفصيل وتدقيق لأنه كان حريصاً على تعلُّم الشر من النبي ﷺ كما يأتي.

ثانيها: أن الفتن التي تحصل للإنسان مع أهله وجاره وفي ماله تُكَفَّر وتُمْحَى بأنواع القربات كالصلاة مثلاً، والصيام، والصدقة، والأمر بالخير، والنهي عن الشر، وهذه حسنات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

ثالثها: يؤخذ من هذا التكفير أنها تغفر حتى الكبائر لأن الفتن التي تنشأ عما ذكر لا تخلو من كبائر كشتائم ولعائن بل وضرب ويمين كاذبة إلى غير ذلك، والله ذو فضل واسع فلا يتعاظمه شيء ولا تحجر رحمته.

رابعها: أن الفتن العظمى التي تموج كموج البحر كانت مسدوداً عليها بوجود عمر رضي الله تعالى عنه، فلما قتل انفتحت أبوابها فلم تُغلق إلى يوم القيامة.

* * *

❋ ما موقف المسلم من الفتن إذا كثرت وانتشرت

[٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ستكونُ فِتَنٌ: القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي، مَن تشرَّفَ لها تَستَشرِفْهُ، فمَن وجدَ ملجأً أو معاذاً فلْيَعُذ به»**.

رواه أحمد (٢/٢٨٢)، والبخاري (١٦/١٣٨/١٣٩)، ومسلم (١٨/٨) كلاهما في الفتن، ورواه البخاري أيضاً في الأنبياء.

[٥] وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنها ستكونُ فِتَنٌ، ألاَ ثمَّ تكون فتنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمَن كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومَن كانت له غَنمٌ فليلحق بغنمه، ومَن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه»**، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرض؟ قال: **«يعمِد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لِيَنْجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلّغت، اللهم هل بلّغت، اللهم هل بلّغت»**، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أُكْرِهتُ حتى ينطلق بي إلى أحد الصفَّين، أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: **«يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار»**.

رواه مسلم في الفتن (١٨/٩/١٠).

قوله: «من تشرف لها» أي: من طلع لها بشخصه طالعته، والاستشراف للشيء رفع الرأس والنظر إليه.

وفي الحديثين إشارة إلى أن المراد بهذه الفتن الملاحم والحروب، وفيهما دليل على عدم المشاركة فيها، وهذا محمول على المقاتلة على الملك والباطل، ففي هذه الحال يجب الاعتزال والاشتغال بما يهم، ويحرم الدخول معهم فإن أُكره فلا يقاتل.

أما إذا كان الحق واضحاً فيجب القتال عليه ونصر المحق بأي طريق أمكن ولو بالدعاء.

[٦] وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع ارْتَدَدْتَ على عقِبَيْكَ تَعَرَّبْتَ؟ قال: لا، ولكنّ رسول الله ﷺ أذِن لي في البَدْوِ.

وعن يزيد بن أبي عُبَيْد قال: لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه خرج سلمة بن الأكوع إلى الرَّبَذَة وتزوج هناك امرأة وولدتْ له أولاداً فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال فنزل المدينة.

رواه البخاري في الفتن (١٦/١٥٠/١٥١).

سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه لما رأى تداعي الفتنة بقتل الإمام عثمان ظلماً اعتزل وخرج للبادية فراراً بدينه، خوفاً من أن تصيبه فتنة فاعترض عليه جماعة ومنهم الحجاج الظالم لأن الرجوع بعد الهجرة إلى موضع الهجرة كان يعد ردة، كما جاء في حديث عند النسائي: «**لعن الله آكل الربا وموكله...**» الحديث، وفيه: «**والمرتد بعد هجرته أعرابياً**»، وجاء في حديث الكبائر من جملته: «**مَن رجع بعد هجرته أعرابياً**» وكان ذلك معروفاً أيام النبوة وما بعدها، لكن سلمة هذا بيَّن لهم أن النبي ﷺ أذِن له في ذلك كما أذِن لغيره أيام الفتن.

[٧] وعن سعيد بن إياس بن سلمة أن أباه حدّثه قال: قدم سلمة المدينة فلقيه بُرَيدةُ بن الخُصَيْب فقال: ارتددتَ عن هجرتك؟ فقال: معاذَ الله إني في إذنٍ من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «**أبدوا يا أسلم**» قالوا: إنا نخاف أن يقدح ذلك في هجرتنا، قال: «**أنتم مهاجرون حيث كنتم**» وله شاهد من رواية عمرو بن عبدالرحمٰن بن جرهد قال: سمعت رجلاً يقول لجابر: مَن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: أنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع. فقال رجل: أما سلمة فقد ارتدّ عن هجرته، فقال: لا تقل ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لأسلم: «**أبدوا**» قالوا: إنا

نخاف أن نرتد بعد هجرتنا، قال: **«أنتم مهاجرون حيث كنتم»** قال الحافظ في «الفتح»: وسند كل منهما حسن.

والربذة: بفتحات مع تشديد الراء موضع خارج المدينة لجهة الشرق بينهما كما قالوا خمس مراحل، كان يسكنها أبو ذر وسلمة بن الأكوع.

ويستفاد من حديث سلمة مشروعية الاعتزال عن جمهور الناس والخروج إلى البادية فراراً من الفتن، كما في الحديث التالي لأبي سعيد.

[٨] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتَّبعُ بها شعف الجبال ومواقع القَطر يفِرُّ بدينه من الفتن»**.

رواه مالك في الاستئذان، وأحمد (٣/٦/٣٠/٤٣/٥٧)، والبخاري في الإيمان، وفي بدء الخلق، وفي الفتن (١٦/١٥٢) وفي الرقاق، وأبو داود (٤٢٢٧) والنسائي، وابن ماجه (٣٩٨).

«شعف»: بفتحتين جمع شعفة أي أعالي الجبال. والمراد بذلك أن ينفرد عن الناس ويعتزلهم ويتحرى مواقع العشب والنبات ويكتفي بما تدره له غنيمته من اللبن.

والحديث نصّ في أن الفرار من الفتن من دين الإسلام وأن المسلم الشحيح بدينه ينبغي له أن يفر من الفتن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وأن لا يشارك الجمهور في ذلك فإنه قلما يسلم له دينه.

[٩] فعن أم مالك البَهْزِية قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقرّبها، قالت: قلت: يا رسول الله مَن خير الناس فيها؟ قال: **«رجل في ماشيته يؤدي حقَّها ويعبد ربه، ورجل أخذ برأس فرسه يُخيف العدو ويُخيفونه»**.

الحديث رواه الترمذي في الفتن (٢٠٠٧)، وعبدالرزاق (١١/٣٦٨)، والحاكم (٤/٤٤٦) وسنده صحيح عند الآخرين.

ومعناه وارد في الصحيحين وغيرهما، البخاري في الجهاد (٦/٣٤٦)، ومسلم في الجهاد (١٣/٣٣/٣٤)، والترمذي في الجهاد أيضاً (١٥٢٣)،

وعبدالرزاق في الفتن (٣٦٨/١١) وهو عندهم عن أبي سعيد الخدري، ويأتي في الرقاق مع حديث لابن عباس.

رواه أحمد (٢٣٧/١/٣١٩/٣٢٢) والترمذي (١٥١٥) وغيرهما.

وقولها: «فقرّبها» أي: ذكرها قريبة.

وفي الحديث بيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في الفتنة، وأنه يجب عليه أن يكون بين أمرين: إما أن يجاهد في سبيل الله ويقاتل العدو الكافر، وإلا فليعتزل وليشتغل بربه ويكتفي في العيش بما تعطيه إياه غنيمته مع أداء ما يلزمه من حقها كالزكاة ونحوها.

[١٠] وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في إبلٍ له وغنم، فأتاه عمر ابنه فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبتِ أرضيتَ أن تكونَ أعرابياً في إبلك وغنمك، والناس بالمدينة يتنازعون في الملك، قال: فضرب صدره بيده، وقال: أُسْكُتْ يا بُنَيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخَفِيَّ**».

رواه مسلم في أول كتاب الزهد (١٠٠/١٨).

المراد بالغنيّ غَنِيُّ النفس للحديث الآتي في الرقاق: «**ولكن الغِنَى غِنَى النفس**» وقوله: «الخفي» بالخاء المعجمة، أي: الخامل المنقطع عن الناس وشرورهم إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه.

والحديث استدل به من قال بأفضلية العزلة لا سيما أيام الفتن كما فعل سعد بن أبي وقاص، فإنه كان قد بنى قصراً خارج المدينة واعتزل فيه وترك الناس يخوضون في الفتن والمقاتلة على الملك حتى وافاه أجله.

[١١] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

وعبدالرزاق في الفتن (٣٦٨/١١) وهو عندهم عن أبي سعيد الخدري، ويأتي في الرقاق مع حديث لابن عباس.

رواه أحمد (٢٣٧/١/٣١٩/٣٢٢) والترمذي (١٥١٥) وغيرهما.

وقولها: «فقرّبها» أي: ذكرها قريبة.

وفي الحديث بيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في الفتنة، وأنه يجب عليه أن يكون بين أمرين: إما أن يجاهد في سبيل الله ويقاتل العدو الكافر، وإلا فليعتزل وليشتغل بربه ويكتفي في العيش بما تعطيه إياه غنيمته مع أداء ما يلزمه من حقها كالزكاة ونحوها.

[١٠] وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في إبلٍ له وغنم، فأتاه عمر ابنه فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه قال: يا أبتِ أرضيتَ أن تكونَ أعرابياً في إبلك وغنمك، والناس بالمدينة يتنازعون في الملك، قال: فضرب صدره بيده، وقال: أُسْكُتْ يا بُنَيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخَفِيَّ**».

رواه مسلم في أول كتاب الزهد (١٠٠/١٨).

المراد بالغنيّ غَنِيُّ النفس للحديث الآتي في الرقاق: «**ولكن الغِنَى غِنَى النفس**» وقوله: «الخفي» بالخاء المعجمة، أي: الخامل المنقطع عن الناس وشرورهم إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه.

والحديث استدل به من قال بأفضلية العزلة لا سيما أيام الفتن كما فعل سعد بن أبي وقاص، فإنه كان قد بنى قصراً خارج المدينة واعتزل فيه وترك الناس يخوضون في الفتن والمقاتلة على الملك حتى وافاه أجله.

[١١] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[١٣] وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه ابن حبان بالموارد (١٨٤٩)، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتَ يا عبدالله بن عَمرو إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناس؟**» قال: وذاك ما هم يا رسول الله؟ قال: «**ذاك إذا مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا**» وشبك بين أصابعه، قال: فكيف ترى يا رسول الله؟ قال: «**تعملُ بما تعرفُ، وتدعُ ما تُنكرُ، وتعملُ بخاصّة نفسك، وتدع عوامَّ الناس**» وسنده صحيح.

وذكره البخاري معلقاً في أبواب المساجد من صحيحه (٢/١١١/١١٢) مجزوماً به مختصراً بلفظ: «**يا عبدالله بن عمرو كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس؟**».

قوله: «مرجت» بفتح الميم وكسر الراء، أي: فسدت واضطربت واختلفت. وقوله: «عهودهم» جمع عهد وهو اليمين، والأمان، والذمة. وقوله: «وخفت» أي: قلت «أماناتهم» وهي ضد الخيانة. وقوله: «يغربل الناس» معناه يذهب الصالحون ويبقى الأراذل. وقوله: «تبقى حثالة» هي بضم الحاء وهي الرذيل من كل شيء، والمراد هنا تبقى الأشرار من الناس وأراذلهم.

والحديث بجميع ألفاظه يدل على أنه إذا ظهرت الفتن وفسد الناس واضطربت عهودهم من الأيمان والذمم وقلّت أماناتهم وكانوا في اختلاف وهرج ومرج وذهب صالحوهم ولم يبقَ إلا أشرارهم والأرذلون منهم، فعلى الإنسان أن يلزم نفسه وخاصته ويدع الناس من شره ويترك شؤون العامة ويتمسك بما يعرفه من دين الله تعالى ويترك ما ينكره على الناس مما يخالف الشرع.

وهذا كما ترى، من الأحاديث الدالة على اعتزال الفتن ومجانبة أهلها وعدم مشاركتهم فيما هم فيه من الاختلاف والتناطح على المراكز والرئاسة.

***

ومن فوائد الحديث:

إخباره ﷺ بدعاة جهنم ويتمثلون في هؤلاء الدعاة إلى الأفكار الهدّامة الذين ظهروا في عصرنا هنا وهناك من أهل جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا العربية ممن درسوا في بلاد الغرب على المستشرقين فأتوا بلاد الإسلام يدعون فيها إلى ما تلقونه من الكفار من الأفكار الكافرة فمَن أجابهم إلى ما يدعون إليه قذفوه في جهنم.

ومنها: أن من أدرك ذلك الوقت فعليه بلزوم جماعة أهل الحق وإمامهم إن كان، فإن لم يوجد لهم إمام معتبر شرعاً ولا لهم جماعة وإنما هي فِرَق وأحزاب كل بما لديهم فرحون، فعليه بالاعتزال والتمسك بما يعرفه من الحق، وليدم على ذلك حتى يوافيه أجله. وهذا وأيم الله هو وقتنا هذا فمَن فتح الله بصيرته فعليه نفسه وليدع الناس يخوضون في لا شيء. ويؤيد ما ذكرنا الحديث التالي:

[١٢] وعن ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكرَ الفتنة، أو ذُكرت عنده، قال: **«إذا رأيتَ الناس قد مَرجَتْ عهودهم، وخفَّت أماناتهم، وكانوا هكذا»** وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: **«الزم بيتك وأملِك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تُنكر، وعليك بأمر خاصّة نفسك، ودع عنك أمرَ العامّة»**.

رواه أحمد (٢/٢١٢)، وأبو داود (٤٣٤٣)، والحاكم (٤/٥٢٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسّنه الحافظان المنذري والعراقي، والحديث صحيح لطرقه:

فقد رواه أحمد (٢/٢٢١) وأبو داود (٤٣٤٢) وابن ماجه، والحاكم (٤/٤٣٥) من طريق آخر بسند صحيح بلفظ: **«كيف بكم وبزمان - أو - يوشك أن يأتي زمانٌ، يُغربلُ الناس فيه غربلة تبقى حُثالةٌ من الناس قد مرجت عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا فكانوا هكذا»** وشبك بين أصابعه، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: **«تأخذون ما تَعرفون، وتذَرُون ما تُنكِرون، وتُقبلون على أمر خاصّتكم، وتذَرُون أمر عامّتِكم»**.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[١٣] وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه ابن حبان بالموارد (١٨٤٩)، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتَ يا عبدالله بن عَمرو إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناس؟**» قال: وذاك ما هم يا رسول الله؟ قال: «**ذاك إذا مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا**» وشبك بين أصابعه، قال: فكيف ترى يا رسول الله؟ قال: «**تعملُ بما تعرفُ، وتدعُ ما تُنكرُ، وتعملُ بخاصّة نفسك، وتدع عوامَّ الناس**» وسنده صحيح.

وذكره البخاري معلقاً في أبواب المساجد من صحيحه (٢/١١١/١١٢) مجزوماً به مختصراً بلفظ: «**يا عبدالله بن عمرو كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس؟**».

قوله: «مرجت» بفتح الميم وكسر الراء، أي: فسدت واضطربت واختلفت. وقوله: «عهودهم» جمع عهد وهو اليمين، والأمان، والذمة. وقوله: «وخفت» أي: قلت «أماناتهم» وهي ضد الخيانة. وقوله: «يغربل الناس» معناه يذهب الصالحون ويبقى الأراذل. وقوله: «تبقى حثالة» هي بضم الحاء وهي الرذيل من كل شيء، والمراد هنا تبقى الأشرار من الناس وأراذلهم.

والحديث بجميع ألفاظه يدل على أنه إذا ظهرت الفتن وفسد الناس واضطربت عهودهم من الأيمان والذمم وقلّت أماناتهم وكانوا في اختلاف وهرج ومرج وذهب صالحوهم ولم يبقَ إلا أشرارهم والأرذلون منهم، فعلى الإنسان أن يلزم نفسه وخاصته ويدع الناس من شره ويترك شؤون العامة ويتمسك بما يعرفه من دين الله تعالى ويترك ما ينكره على الناس مما يخالف الشرع.

وهذا كما ترى، من الأحاديث الدالة على اعتزال الفتن ومجانبة أهلها وعدم مشاركتهم فيما هم فيه من الاختلاف والتناطح على المراكز والرئاسة.

* * *

❋ عرض الفتن على القلوب وذهاب الأمانة و(مدح الخوَنة)

[١٤] عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تُعرَض الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشرِبَها نكتت فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلب أنكرها نُكِتت فيه نكتةٌ بيضاء حتى يصيرَ على قلبين أبيض مثل الصفا، فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماواتُ والأرضُ، والآخر أسود مَرْبَادًّا كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه»**.

رواه مسلم في الإيمان (٣/١٧١/١٧٢).

قوله: «تعرض» أي: تلصق بجانب القلوب كما يلصق الحصير بجنب النائم شيئاً بعد شيء. وقيل معناه: تظهر الفتن على القلوب فتنة بعد أخرى كالحصير الذي ينسج عوداً عوداً على عادة العرب، فشبّه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد.

وقوله: «فأي قلب أُشربها» أي: حلّت منه محل الشراب فأحبها. وقوله: «أنكرها» أي: ردها ولم يقبلها. وقوله: «مرباداً» أي: أسود يخالطه شيء يسير من البياض، واربد لونه إذا تغير ودخله سواد. وقوله: «كالكوز مجخياً» هو بضم الميم وفتح الجيم وكسر الخاء المشددة، أي: مائلاً.

والحديث يدل على أن الفتن ستكثر وتنتشر وتظهر على القلوب وتلصق بجانبها ويكون الناس في شأنها فريقين: فريق تؤثر فيه ويشرب حبها فيسود قلبه بظلمتها فيميل عن الحق ويتبع هواه فيصبح لا يعرف حقاً من باطل، ولا منكراً من معروف. أما الفريق الثاني، فينكرها ويردها ولا يقبلها بحال فتنكت في قلبه نكتة بيضاء بنور الحق والإيمان فيصير قلبه أبيض ناصعاً فلا تضره أي فتنة طوال حياته.

والذي يظهر أن هذا الحديث يشير إلى فتنة العقيدة وآراء أهل الأهواء

كالرفض، والنصب، والقدر، والاعتزال، وما إلى ذلك من الأهواء، والله أعلم.

والحديث أعم من ذلك، وقد جاء ما يدل على أن هنالك من لا تضره الفتنة.

[١٥] فعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه، إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تضرك الفتنة»**.

رواه أبو داود في السنة (٤٦٦٣) بسند صحيح لغيره.

فهذه خصيصة لهذا الصحابي خصّه بها النبي ﷺ وأنه في أمن وأمان من الفتن.

[١٦] وعن حذيفة أيضاً قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: **«أن الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة»**، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: **«ينام الرجلُ النومةَ فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرُها مثل الوَكْتِ، ثم ينامُ النومةَ فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظلُّ أثرها مثل المَجْلِ كجمرٍ دحرجته على رجلك فنَفط فتراه مُنْتَبِراً وليس فيه شيء، ثم أخذ حصًى فدحرجه على رِجله فيُصبح الناسُ يتبايعون لا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل: ما أجْلَده، ما أظْرفه، ما أعْقله، وما في قلبه مثقالُ حبة من خردلٍ من إيمان، ولقد أتى عليّ زمانٌ وما أُبالي أيكم بايعتُ لئن كان مسلماً ليَرُدَّنَّه عليَّ دينُه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليرُدَّنَّه عليّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايعَ منكم إلا فلاناً وفلاناً»**.

رواه أحمد (٥/٣٨٣)، والبخاري في الفتن (١٦/١٤٨/١٤٩)، ومسلم في الإيمان (٢/١٦٨/١٦٩/١٧٠)، والترمذي في الفتن (٢٠٠٩) بتهذيبي.

«الأمانة»: كل ما ائتمن عليه الإنسان. وأشملها ما ذكر في قوله

عزّ وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، فالآية شاملة لجميع أنواع الأمانات، وقوله: «جذر» بفتح الجيم وكسرها مع سكون الذال أي: أصل قلوبهم. وقوله: «الوكت» بفتح الواو وسكون الكاف، هو الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. و«المجل» بفتح الميم وسكون الجيم هو أثر العمل في الكف. و«منتبراً» أي منتفخاً.

والحديث يدل على أن الأمانة سترفع من قلوب الناس حتى لا يكاد أحد يحافظ عليها ولا يبقى منها إلا آثارها، وأنه سوف يصبح الأمين في الناس غريباً وتنقلب الأوضاع حيث يمدح الخائن والمنافق ومن لا دين له فيقال فيه: ما أجلده، وما أظرفه، وما أعقله، وليس في قلبه وزن حبة خردل من إيمان، وما أكثر هذا الصنف في وقتنا، وإن ذلك لفتنة فيا رب لا تجعلنا فتنة للخونة والمنافقين.

* * *

❋ مبادرة الفتن المظلمة المضلة بالأعمال الصالحة

[١٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال فتناً كقِطع الليل المُظلم يصبح الرجلُ مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا»**.

رواه أحمد (٣/٣٠٤/٣٧٢)، ومسلم في الإيمان (٢/١٣٣)، والترمذي في الفتن (٢٠٢٦).

«بادروا»: أي سابقوا وسارعوا بالأعمال الصالحة. «بعرض»: بفتح العين والراء.

في الحديث الأمر بالمبادرة إلى الإكثار من الإتيان بأنواع القربات قبل تعذرها والانشغال عنها بما يداهم الإنسان من الفتن المتكاثرة المتراكمة

كتراكم الليل المظلم، حتى إن الإنسان لشدة الفتن ينقلب في اليوم الواحد مرتين أو مرات فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً وعكسه.

والحديث يشير إلى أن ذلك يكون بسبب عرض الدنيا فيبيع لذلك دينه فيكفر بدون أن يشعر، والأمثلة على هذا كثيرة عياذاً بالله.

* * *

❊ أشقى الناس بالفتن العرب

[١٨] عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهن أن النبي ﷺ استيقظ من نومه. وفي رواية: خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعاً مُحمراً وجهه وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه**» وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثُر الخَبَثُ**».

رواه أحمد (٤٢٩/٤٢٨/٦)، والبخاري (١١٨/١١٧/١٦)، ومسلم (٤/٣/١٨) كلاهما في الفتن، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق (٣٦٣/١١) والترمذي.

«الويل»: الهلاك. و«الردم»: هو السد الذي بناه ذو القرنين، ويأتي الكلام عليه مع يأجوج ومأجوج. وقوله: «الخبث» بفتحتين، فسره الجمهور بالفسوق والفجور. وقيل: المراد به الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا.

قال النووي رحمه الله تعالى: والظاهر أنه المعاصي مطلقاً.

وقوله: «أنهلك» بكسر اللام.

والحديث يدل على أن العرب هم مصدر الفتن، وأنهم أول من يقعون فيها من هذه الأمة، والحديث قد يكون مشيراً إلى ما حصل بين الصحابة وغيرهم ممن جاء بعدهم إلى وقتنا هذا كما يشهد له التاريخ، وها نحن

نشاهد الفتن متوالية على العرب، والغرب كله بجميع دول أوروبا وأمريكا... مع الشرقيين يكيدون لهم ويحاربونهم ويمتصون ثرواتهم عن طيب نفس أو كره، وكوّنوا في وسطهم دويلة الصهاينة الملاعن، وأشعلوا نيران الحروب بينها وبينهم ليل نهار ولا ندري ماذا يكون في غدنا.

والحديث يدل أيضاً على أنه إذا كثر الشر وانتشر الفجور وظهرت المعاصي أهلك الله جميع الناس، ولا ينفعهم وجود الصالحين ولا أهل الفضل والدين بينهم كما هو حالنا اليوم.

* * *

❋ فزع النبي ﷺ من نزول الفتن

[١٩] عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزِعاً يقول: **«سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ مَن يوقظ صواحب الحجرات؟ - يريد أزواجه - لكي يُصلّينَ، رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة»**.

رواه البخاري في الفتن (١٢٩/١٦)، وعبدالرزاق (٣٦٣/١١)، وأحمد والترمذي.

في الحديث بيان ما أطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ من فتوح خزائن الأموال وظهور الفتن التي تنشأ عن ذلك من التنافس والمقاتلة عليها، وقد حصل كل ذلك. وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من الاهتمام بأهله وتحريضهن على الاستيقاظ للصلاة والتهجُّد ليلاً لينقذن أنفسهن من المهالك ويتضرّعن إلى الله من الحفظ والحماية من الفتن.

وقوله: «رُبّ كاسية...» إلخ، يعني والله أعلم: قد تكون المرأة في الدنيا كاسية لكنها عارية أو شبه عارية فتعاقب على ذلك في الآخرة بالعُري جزاء على ذلك وفضيحة لها بين الخلائق، أو يكون معناه: كاسية من نعم الله عارية من شكر الله الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب، أو معناه:

كاسية في الدنيا بأنواع الحلل والألبسة الفاخرة المتنوعة لكنها في الآخرة عارية من الثواب لعدم عملها الصالح في الدنيا.

والحديث وإن جاء في نساء النبي ﷺ فهو شامل لجميع نساء الأمة، ففيه تحذيرهن من الاتصاف بما ذكر، والله تعالى أعلم.

* * *

❁ لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه

[٢٠] عن الزُّبَيْر بن عدِيٍّ رحمه الله تعالى قال: أتينا أنسَ بن مالك رضي الله تعالى عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحَجّاج فقال: اصبِروا فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده شرٌ منه حتى تلْقَوا ربكم، سمعتُه من نبيكم ﷺ.

رواه البخاري في الفتن (١٢٦/١٦/١٢٧).

في هذا علَم من أعلام النبوة، فإن ما أخبر به من توالي الشر وتجدُّده بكثرة عاماً بعد عام وشهراً بعد شهر، بل ويوماً بعد يوم هو الواقع منذ غياب النبي ﷺ.

فالحديث يدل على أن الأزمنة المتأخرة شر من المتقدمة، وهو على إطلاقه فيه إشكال من حيث إن بعض الأزمنة تكون أخف شراً مما قبلها كما وقع أيام عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه، فإن الشر فيه كان قليلاً بالنسبة لما كان قبله، ويجاب عن ذلك بأن ذلك أغلبي، ولا بد للناس من تنفيس كما وقع في بعض العصور وكما سيقع أيام المهدي وعيسى عليهما السلام.

وقوله: «شكونا إلى أنس ما نلقى من الحجاج» يعني ابن يوسف الثقفي وهو الأمير الجبار الظالم المشهور، فإن ظلمه فاق ظلم كل ظالم قبله، وقد أحصوا عنه ما قتله من العلماء والنسّاك... فذكروا عنه أنه قتل مائة وعشرين ألف نفسٍ ظلماً، كما أخرجه الترمذي بسند صحيح.

وقد ذكر الحافظ في «الفتح» عن الزبير يعني ابن بكار في «الموفقيات» من طريق مجالد عن الشعبي قال: كان عمر فمَن بعده إذا أخذوا العاصي أقاموه للناس ونزعوا عمامته، فلما كان زياد ضرب في الجنايات بالسياط، ثم زاد مصعب بن الزبير حلق اللحية، فلما كان بشر بن مروان سمَّر كفَّ الجاني بمسمار، فلما قدم الحجاج قال: هذا كله لَعِبٌ، فقتل بالسيف.

ملحوظة: وقوله: «لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه» المراد بالشر ذهاب العلماء وأهل الدين وظهور المعاصي وكثرة أهلها وانتشار الظلم والجور، وليس المراد بالشر القحط والجدب وارتفاع الأسعار وظهور الفقر والمجاعات، بل الأمر بالعكس، فقد فُتحت أبواب الدنيا وبُسطت، وأغدق الله تعالى على العباد النِعَم وتوسّعوا في الحياة...

* * *

❋ تقاتل المسلمين وما سيكون بينهم من البأس وأنهم سيسلطون على بعضهم بعضاً

[٢١] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن حملَ علينا السلاحَ فليس منا»**.

رواه مالك وأحمد (٢/٣/١٦/٥٣/١٤٢)، والبخاري في الفتن (١٣١/١٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٧/٢)، وأبو داود والنسائي، ومثله عن أبي موسى رواه البخاري (١٣١/١٦)، وعن أبي هريرة عند مسلم وابن ماجه بزيادة: **«ومَن غشّنا فليس منا»**.

والحديث يدل على أن من حمل السلاح يريد قتال المسلمين فليس منهم، أي: ليس على طريقتهم ولا هديهم، فهم برآء منه. وهذا غاية في التنفير من قتال المسلمين والزجر عنه، وهذا محمول على القتال الغير المشروع كما يأتي:

[٢٢] وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا**

المسلمانِ حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما في جُرُفِ جهنم، فإذا قتل أحدهما صاحبَه دخلاها جميعاً».

رواه أحمد (٤١/٥)، ومسلم في الفتن (١٢/١٨).

في الحديث وعيد شديد لحمل السلاح على المسلمين أو مقاتلتهم بلا حق.

[٢٣] وفي رواية عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ - يعني علياً عليه السلام - قال: فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا تواجه المسلمان بسيفَيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار»** قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **«إنه قد أراد قتل صاحبه»**، وفي رواية عن الحسن - يعني البصري - قال: خرجت بسلاحي ليالي الفتنة فاستقبلني أبو بكرة... إلخ.

رواه البخاري (١٤١/١٤٠/٦)، ومسلم (١١/١٠/١٨)، وأبو داود (٤٢٦٨) كلهم في الفتن.

وقوله: «ليالي الفتنة» المراد بالفتنة الحرب التي وقعت بين الإمام علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله تعالى عنهم، وكان أبو بكرة ممن تخلّف عن القتال مع أحد الفريقين فثبط الأحنف عن القتال مع الإمام علي، واستدل له بالحديث المذكور وكان غير مصيب في ذلك، فإن الحديث وارد فيمن تقاتل لأجل الملك والعصبية والحمية، فالقاتل في ذلك والمقتول كلاهما في النار، فالقاتل يدخلها لقتله أخاه المسلم بغير حق، والمقتول يدخلها لأنه كان حريصاً على قتل أخيه فاستحقها بنيّته، والحديث نصّ في كونهما لم يخرجا بتقاتلهما عن الإسلام، وهذا طبعاً إذا لم يستحلا القتل بدون تأويل وإلا كانا مرتدين مخلّدين في النار.

[٢٤] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا ترجعوا بعدي كُفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض».**

رواه أحمد (٨٧/٢)، والبخاري في الفتن (١٣٤/١٦) وغيرهما.

وجاء عن جرير في الصحيحين وعن أبي بكرة وابن عباس في البخاري (١٣٧/٦)، والترمذي في الفتن (٢٠٢٤).

وقوله: «لا ترجعوا كفاراً...» إلخ، ظاهره أن قتل المسلم يوجب الكفر وذلك ليس بمراد فإنه مؤول ولا بد، بمعنى لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حراماً أو لا ترجعوا كفاراً باستحلالكم قتال إخوانكم، ولذا جاء في رواية ابن عباس عند البخاري في الفتن (١٣٧/١٦): **«لا ترتدُّوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»** ففيه النهي عن الارتداد والكفر واستحلال قتال المسلمين.

[٣٥] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلّينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال ﷺ: **«سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألتُ ربي أن لا يُهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»**.

رواه أحمد (١٨٢/١)، ومسلم في الفتن (١٥/١٤/١٨).

[٣٦] وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلكُها ما زوى لي منها، وأُعطِيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلِكها بسَنَةٍ عامة، وأن لا يُسلّط عليهم عدواً من سِوَى أنفسهم فيَستَبِيحَ بَيْضَتَهُم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُك لأمتك أن لا أُهلِكهم بسنة عامة، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيحُ بيضتَهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها - أو قال - من بين أقطارها، حتى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بعضاً، ويسبي بعضُهم بعضاً، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين، وإذا وُضع في أمتي السيفُ لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة»**.

رواه أحمد (٢٧٨/٥)، ومسلم في الفتن (١٤/١٣/١٨)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن (٢٠٠٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

«زوى»: بفتحتين وتخفيف الواو أي: جمع. «الكنزين»: الذهب والفضة، والمراد بهما كنزَيْ كسرى ملك العجم وقيصر ملك الروم. «فيستبيح بيضتهم» أي: يستأصل مجتمعهم.

[٢٧] وعن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا: يا رسول الله صلّيتَ صلاةً لم تكن تُصلِّيها؟ قال: **«أجل، إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألتُ الله فيها ثلاثاً...»** فذكر الحديث بنحو ما سبق وفيه: **«وسألته أن لا يُذيقَ بعضُهم بأسَ بعض فمنعنيها»**.

رواه أحمد والترمذي في الفتن (٢٠٠٥) وحسّنه وصححه وهو عنده على شرط مسلم.

وقوله: «صلاة رغبة ورهبة» معناه: أنها مشتملة على الرجاء والخوف معاً.

وفي هذه الأحاديث معجزات للنبي ﷺ، فقد تنبّأ بأشياء فوقعت كما أخبر، كجمع الأرض له، ورؤيته المشارق والمغارب، وإخباره بأن الإسلام سيمتد فيما ظهر له من الأقطار الشرقية والغربية، فحصل ذلك في مدة يسيرة فانتشر الإسلام شرقاً وغرباً إلى أن بلغ المحيط الهادي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، بل تعداه إلى أمريكا وأوروبا شمالاً وأندونيسيا... وقارة أستراليا جنوباً، غير أنه انتشر بكثرة في وسط الكرة الأرضية من شرق آسيا إلى أمريكا.

كما أخبر بأن المسلمين سيفتحون بلادَي كسرى والروم وهما العملاقان اللذان كانا يُمثلان القوة المسيطرة على أكثر الأقطار فمزّقهما الله تمزيقاً على أيدي أبطال الإسلام من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم، ففتحتا أيام الصدِّيق والفاروق رضي الله تعالى عنهما وأنفقت أموالهما في سبيل الله.

وفي هذه الأحاديث اهتمام النبي ﷺ بأمته وشفقته عليها ورحمته بها

حيث سأل ربه لها دفع ما يسوءهم ويُغْنِتُهم، فسأله ثلاثاً أجابه إلى ثنتين ومنعه الثالثة، وذلك لسابق علمه وقضائه الذي لا يتبدل ولا يتغير.

فأجابه إلى أنه لا يعم جميع أمته بالقحط والجوع، بل إذا وقعت المجاعات في جهة أو جهات حصل الخصب والخير في جهات أخرى، وأنه لا يسلط عليهم جميعاً عدواً من غيرهم فيستأصل كل الأمة ويقضي عليها باستعمارها واستذلالها واستغلال أراضيها والسيطرة عليها، بل لا بد وأن تبقى جهات من الأقطار التي يحكمها المسلمون محفوظة من الكفار وأعداء الإسلام، وهكذا حصل كما أخبر ﷺ بما وعده الله عزّ وجل به.

فقد هاجم الكفار بلاد الإسلام وغزوا المسلمين مرات واستعمروا كثيراً من الأقطار عبر العصور حتى جاءت الحرب العالمية الأولى فاجتمعت دول أوروبا على حرب كل بلاد الإسلام واستعمروا ما قدِّر لهم، ورغم أنهم حكموا كل الأقطار بعجميها وعربيها لكنهم لم يستطيعوا بإذن الله تعالى استعمار كل بلاد الأمة بل بقيت بلاد الحرمين الشريفين وبعض القطر اليمني فحفظهما الله تعالى من استيلاء الكفار عليهما مصداقاً لما وعد الله تعالى به نبيه ﷺ.

نعم، إنما الذي يقضي على الأمة ويمزق جميعها ويحاربها هم أبناؤها، فهم الذين يقتل بعضهم بعضاً، ويسبون نساءهم وذراريهم، ويستحلون أموالهم، ويذيق بعضُهم بأس بعض كما هو الواقع بداية من أيام الصحابة حتى وقتنا هذا.

ملحوظة: جاء في حديث سعد المخرّج في الصحيحين بدل: تسلط العدو من غيرهم: **«وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها»**.

وهذا أيضاً يصدقه الواقع والتاريخ، فلم يسمع أن الله عزّ وجل أغرق جميع الأمة بالفيضانات والسيول...

وعلى أيٍّ، فما ذكر في هذه الأحاديث من جملة الفتن التي تتعرض لها الأمة.

***

❋ كثرة الهرج والعبادة فيه

[٢٨] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من ورائكم أياماً، يُرفع فيها العلمُ، ويكثرُ فيها الهَرْجُ»**، قالوا: يا رسول الله ما الهرج؟ قال: **«القتلُ»**.

رواه البخاري (١٢٥/١٢٤/١٦) في الفتن، ومسلم في العلم (٢٢٢/١٦)، والترمذي (٢٠٣٠)، وابن ماجه (٤٠٥١) كلاهما في الفتن.

[٢٩] وعن مَعقِل بن يسار رضي الله تعالى عنه رده إلى النبي ﷺ قال: **«العبادةُ في الهَرْج كهِجْرةٍ إليّ»**.

رواه أحمد (٣٥/٥)، ومسلم (٨٨/١٨)، والترمذي (٢٠٣١)، وابن ماجه (٣٩٨٥) كلهم في الفتن.

قوله: «إن من ورائكم» أي: في آخر الزمان بدليل رواية البخاري الآتية لاحقاً: **«إن بين يديّ الساعة»**.

وفي الحديث الأول: علَمٌ من أعلام النبوة حيث أخبر ﷺ بوقت يرفع فيه العلم - يعني علمَ الدين - ويكون ذلك بذهاب العلماء كما يأتي.

وأنه سيكثر فيه القتل وسفك الدماء بدون حق وهو المعبّر عنه بالهرج، وهذا هو الواقع، فإن ذلك متوالٍ بدون انقطاع في كثير من الأقطار وخاصة بلاد الإسلام التي جاء التحدُّث عن أهلها.

أما الحديث الثاني: فيدل على خير عظيم وهو أن الاشتغال بالعبادة والتوجه إلى الله عزّ وجل أيام الفتن والحروب فيه أجر عظيم وذلك لغفلة الناس وانشغالهم بالحروب، فالمشتغل بذلك يحرز بفضل الله على درجة المهاجر إلى رسول الله ﷺ، وقد تحدّث القرآن الكريم كثيراً عن أجر المهاجرين وجزائهم، فالواجب على المسلم أيام الفتن هو الاشتغال بربه.

❋ ❋ ❋

❋ نزول عقاب اللّه عند ظهور الشر وعدم تغييره

[٣٠] عن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ الناس إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعُمَّهم الله بعقاب منه»**.

رواه أحمد وأبو داود في الملاحم، والترمذي وابن ماجه في الفتن بسند صحيح على شرط مسلم، وتقدم في التفسير.

قوله: «فلم يأخذوا...» إلخ، أي: لم يكُفُّوه عن ظلمه بالأمر والنهي. قوله: «أوشك» أي: قارب عندئذ أن يشملهم الله تعالى جميعاً بالعذاب عقاباً لهم.

فالحديث يدل على أن ترك الإنكار على أهل الظلم والإفساد يوجب عقاب الله.

[٣١] وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه فتدعونه فلا يُستجاب لكم»**.

رواه الترمذي في الفتن (١٩٩٩) بتهذيبي، وحسّنه، وذلك لطريق له عند أحمد (٥/٥٨٨/٥٨٩) وشاهد عن عائشة عند ابن ماجه (٤٠٠٤).

هو كسابقه في نزول العذاب عند ظهور الشرور وترك الإنكار، ويزاد على العذاب عدم استجابة دعاء الصالحين للعموم.

[٣٢] وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ القائم على حدود الله والمُدْهِن فيها كمَثَلِ قوم استهَموا على سفينةٍ في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في البحر أسفلها يصعدون فيستَقون الماء فيصُبُّون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها: لا ندعُكم تصعدون فتؤذوننا، فقال**

الذين في أسفلها: فإنا نثقبها في أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً».

رواه أحمد (٤/٢٦٨/٢٧٠)، والبخاري في الشركة (٦/٥٨)، والشهادات (٦/٢٢٣)، والترمذي في الفتن (٢٠٠٣) بتهذيبي.

قوله: «القائم» أي: الذي يأمر وينهى. وقوله: «والمدهن» بضم الميم وسكون الدال وكسر الهاء هو المداهن الذي يشاهد المنكر ويجامل صاحبه مع قدرته على التغيير أو مفارقة صاحب المنكر. وقوله: «فإن أخذوا» أي: مسكوا أيديهم.

فهذا الحديث يبين المجتمع الذي يظهر فيه المنكر، فإن أخذ الناس على أيدي أهله وأنكروا عليهم وحالوا بينهم وبينه نجى جميعهم، وإن تركوهم وما هم عليه شملهم عقاب الله وعذابه ولم ينجُ منهم طالح ولا صالح.

* * *

❁ الخسف بالبغاة وأهل الفساد

[٣٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء الأرض خُسِف بأولهم وآخرهم»** فقلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومَن ليس منهم؟ قال: **«يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نياتهم».**

رواه البخاري في الحج وفي البيوع.

[٣٤] وعن حفصة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **«ليَؤمَّنَّ هذا البيت جيشٌ يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسفُ بأوسطهم ويُنادي أولُهم آخرهم، ثم يُخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم»** فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبي ﷺ.

وفي رواية: «**لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزوَ جيشٌ، حتى إذا كانوا بالبيداء - أو - ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ولم ينجُ أوسطهم**» قلت: يا رسول الله فمَن كره منهم؟ قال: «**يبعثهم الله على ما في نفوسهم**».

رواه مسلم (٦/٥/١٨)، والترمذي (٢٠١٤)، وابن ماجه (٤٠٦٤) ثلاثتهم في الفتن.

[٣٥] وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن الجيش الذي يُخسفُ به وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذ بالبيت فيُبعث إليه بعثٌ**»، وفي رواية: «**سيعوذ بهذا البيت** - يعني الكعبة - **قوم ليست لهم مَنَعَةٌ، ولا عددٌ، ولا عُدَّةٌ، يُبعث إليهم جيشٌ حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم**»، قال يوسف: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة، فقال عبدالله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش، فقالت أم سلمة: لعل فيهم المكره، قال: «**إنهم يُبعثون على نياتهم**».

رواه مسلم (٦/٥/١٨)، والترمذي (٢٠٠١)، وابن ماجه (٤٠٦٥) كلهم في الفتن.

«البيداء»: هي كل أرض لا نبات بها. وقوله: «يُخسف بهم» أي: تبتلعهم الأرض عقاباً لهم على انتهاك حرمة بيت الله. قوله: «سيعوذ بالبيت» أي: سيلجأ إليه ويتحصن به. قوله: «منعة» بفتحات، أي: ليس لهم عزة ولا حامي يحميهم. وقوله: «عددٌ» أي: ليس لهم جيش كثير. «ولا عدة»: بضم العين، أي: ولا لهم قوة من الأسلحة.

[٣٦] وعن أبي مالك الأشعري أو أبي عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيَكُونَنَّ من أُمَّتي قومٌ يستحلُّون الحِر والحريرَ، والخمرَ والمعازفَ، ولينزلن أقوام إلى جنبِ عَلَم تروحُ عليهم سارِحةٌ لهم فيأتيهم رجلٌ لحاجةٍ فيقولون: إرجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلَم، ويَمسخُ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**».

رواه البخاري في الأشربة بصيغة التعليق وهو متصل صحيح خلافاً

لمن ضعّفه كابنِ حزم ومَن قلده، وأخرجه أيضاً متصلاً جماعة كما قدّمنا في الأغاني من الأدب.

وقوله: «من أمتي» أي: أمة الدعوة وليسوا من أمة الإجابة لأنهم كفار باستحلالهم هذه الأشياء المذكورة المحرّمة، وهي أربعة أشياء: الحر بكسر الحاء ثم راء، وهو الفرج، والمراد استحلالهم الزنا. ثم الحرير، ثم الخمر، وهذه الثلاثة محرّمة بالإجماع إلا الحرير بالنسبة للنساء، والرابع: المعازف وهي آلات الطرب واللهو وهي محرّمة إذا احتفت بها الخمر والزنا والأغاني الماجنة الفاحشة وبالأخص إذا كانت من النساء على الحالة المشاهدة اليوم فإن هذه المشاهد من موجبات العذاب والمسخ قطعاً.

فهذه الأحاديث تدل على أن الله عزّ وجل سيُنزل عذابه ونقمته بكل من انتهك حرمة الله وقصد غزو بيته الحرام أو أسرف في الفجور وأفرط في مجاهرة الله بالمعاصي حتى بلغ به الحال إلى استحلال المحرمات والفواحش وما أخبر به ﷺ في هذه الأحاديث من معجزاته العظيمة، فإن المستحلين للزنا وما معه وجدوا في عصرنا وما أكثرهم ومن يلقي نظرة خاطفة على المحطات الفضائية التلفزيونية يرى من مشاهد هذه المخازي ما يستحيي منه الشيطان، أما غزو البيت والخسف بقاصديه فسيكون في مستقبل الزمان مصداقاً لوعد الله تعالى ورسوله ﷺ.

وفي الأحاديث الثلاثة الأولى دليل على أن العذاب والخسف قد يصيب حتى الصالحين ممن يوجدون مع المعتدين لأنهم كانوا مكثرين لسوادهم، فيكون ذلك تصعيراً لهم ورفعاً لدرجاتهم، ويبعثون يوم القيامة على نياتهم فيجازون بحسب ذلك.

وقد أخرج البخاري في الفتن (١٦/١٧١) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال:

[٣٧] قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذابُ مَن كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم، إن كان صالحاً فعقباه صالحة، وإلا فسبيئة**». وفيها البعد عن أهل الفساد والتحذير من مجالستهم ومصاحبة

المبطلين لئلا ينال الإنسان ما يعاقبون به والعياذ بالله، وهذه من السنن الإلهية في عباده التي لا تتخلف، فأيما قوم ظهرت فيهم المعاصي وأعلنوا بها أنزل الله تعالى بهم بأسه.

* * *

❁ ذهاب الصالحين وتسلط الأشرار على الأخيار

[٣٨] عن المرداس الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يذهبُ الصالحون الأولَ فالأولَ، ويبقى حثالةٌ كحثالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله تعالى بالة»**.

رواه أحمد (٤/١٩٣)، والبخاري في الرقاق (١٤/٢٧/٢٨)، والدارمي (٢٢/٢٧).

«حثالة»: بضم الحاء ثم ثاء، وفي رواية: «حفالة» بالفاء، وهو الرديء من التمر أو الشعير. «لا يباليهم الله» أي: لا يعبأ بهم.

والحديث يدل على أن الله عزّ وجل يقبض إليه الأتقياء والصالحين حتى لا يبقى إلا الأشرار، وهذا يقع في كل العصور وليس خاصاً بوقت دون وقت.

وقد يكون الحديث مشيراً إلى آخر الزمان عند تغرب الدين وأهله وغلبة الشر ومتعاطيه.

[٣٩] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مشت أُمَّتي المُطَيطاء وخدمها أبناء الملوك، أبناء فارس والروم، سُلِّط شِرارُها على خيارها»**.

رواه الترمذي في الفتن (٢٠٩٠) من طريقين، أحدهما: سنده صحيح وله شاهد عن أبي هريرة رواه الطبراني بسند حسن.

«المطيطاء»: بفتح الطاءين بينهما ياء ساكنة، هي مشية فيها تبختُر، وهي مشية المتكبرين.

وفي الحديث إخباره ﷺ بتسلُّط الأشرار على الأخيار، والمراد بالأشرار الكفار والظلَمَة وأهل الجور، وذلك يكون عند ظهور الترف والتنعُّم والإخلاد إلى الحياة، والتظاهر بالتعاظم والاتصاف بالتكبُّر... وقد وقع ذلك في تاريخ الإسلام، فعندما فتحت الأقطار والأمصار وجلب الأسارى واتخذ الناس الخدَمة والخادمات من العجم أصبح كثير من الناس كالملوك في حياتهم، ثم عاقبهم الله عزّ وجل بتسلُّط شرار الخلق عليهم.

* * *

❋ التمسُّك بالدين والصابر عليه عند الفتن وتغرُّب الإسلام

[٤٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنكم في زمان مَن ترك منكم عُشُرَ ما أُمِرَ به هلك، ثم يأتي زمانٌ مَن عمل منهم بعُشُرِ ما أُمِرَ به نجا**».

رواه الترمذي في الفتن (٢٠٩٥)، والطبراني في الصغير (١٣٨/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣١٦/٧) بسند رجاله ثقات غير نعيم بن حماد الحافظ فتكلموا فيه لكن وثقه أحمد وابن معين والعجلي، وروى له البخاري تعليقاً، وكفى.

المراد بالعشر في الحديث كما قال العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا التكاليف الشرعية فإنه لا يجوز تركها بحال، وإنما كان الأولون هالكين لأن الدين في وقتهم كان قائماً منصوراً وأهله متوافرون، أما الآخرون فوقتهم وقت كفر وظلم وضعف وتغرُّب وعموم المعاصي وانتشار الفساد وأهله وقلة أنصار الدين، فلذلك كانوا ناجين لأنهم قاموا بما في وسعهم.

[٤١] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم على دينِه كالقابض على الجمر**».

رواه الترمذي في الفتن (٢٠٨٨) بتهذيبي، وهو وإن كان في سنده عمر بن شاكر وفيه ضعف فإن معناه صحيح فله شاهد عن أبي هريرة رواه

أحمد (٥/٣٩٠/٣٩١) بسند حسن في الشواهد، وشاهد ثان عن أبي ثعلبة الخشني رواه الترمذي في التفسير (٢٨٦٠) بتهذيبي.

الحديث مطابق لحالتنا التي نعيشها اليوم، فإن التمسك بالدين فيه صعب جداً على الأكثرية من الناس الذين يدعون الإسلام، فمَن تمسك بدينه اليوم فأحلّ حلاله وحرّم حرامه وقام بالتكاليف الشرعية حسب طاقته كان كأنه قابض على جمرة من النار لشدة الأمر وصعوبته، وفي هذا يأتي أجر الواحد منهم كأجر خمسين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كما جاء في حديث آخر.

* * *

❊ تمنِّي الموت عند الفتن

[٤٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تذهبُ الدنيا حتى يمُرَّ الرجلُ على القبر فيتمرَّغُ عليه ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر وليس به الدينُ، إلا البلاء»**.

رواه البخاري (١٦/١٨٧)، ومسلم في الفتن (١٨/٣٤)، وابن ماجه (٤٠٣٧).

قد وقع هذا بكثرة عبر العصور لكثرة البلاء والفتن النازلة بالناس، فيمر الرجل بقبر أخيه فيغبطه لموته ويتمنى أن لو مات فيكون مكان صاحب القبر. وهذا من الناحية الشرعية لا يجوز، فإن الواجب على المسلم الصبر لتصاريف الأقدار وتفويض الأمور للّه عزّ وجل يفعل فيها ما يشاء، وقد قدّمنا في الجنائز ما فيه كفاية للموضوع.

* * *

❊ هلاكُ الأمّة على يد أُغَيْلِمَة

[٤٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«هلاكُ أمّتي على يد أُغَيلِمَة من قريش»**.

وفي رواية: «**هلكة أمتي على يدَيْ غِلْمة من قريش**» فقال مروان: لعنةُ الله عليهم غِلْمةً، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلتُ، قال عَمرو بن يحيى: فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا الشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم.

رواه البخاري (١٦/١١٥/١١٦)، ومسلم (١٨/٤١) كلاهما في الفتن واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم: «**يُهلِكُ أمتي هذا الحيُّ من قريش**»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**لو أن الناس اعتزلوهم**».

قوله: «أُغَيْلِمَةٌ» هو تصغير غلمة بمعنى غلمان.

ومعناه: أن هلاك الأمة سيكون بواسطة أمراء من قريش أحداث الأسنان ليست لهم عقول ناضجة. وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يرى أنهم بنو أمية لأنهم كانوا كذلك، والحديث عام فإن المتأخرين ليسوا بأقل إفساداً أو إهلاكاً من السابقين، فإن في الأمراء اللاحقين من كفّروا شعوبهم وورّطوهم في أمور عويصة، وقوله ﷺ: «**لو أن الناس اعتزلوهم**» معناه: أن لا يشاركوهم في أمورهم التي يمارسونها ويفرُّوا عنهم بدينهم.

وأخذ العلماء من هذا الحديث مشروعية هجران البلدة التي يقع فيها التظاهر بالمعاصي والمنكر جهاراً لأن ذلك سبب وقوع الفتن التي ينشأ عنها الهلاك. وقد قدّمنا بعض هذا في الجهاد.

* * *

❊ الأمراء المُضِلُّون والإنكار عليهم

[٤٤] عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أخافُ على أمّتي الأئمة المُضِلّين**».

رواه الترمذي في الفتن (٢٠٥٩) بسند صحيح، ولذا حسّنه وصححه.

«الأئمة المضلُّون»: هم الأمراء والولاة الظلَمة الطغاة الذين يغيرون أوضاع الأمة، ويُحَكِّمون فيهم غير شريعة الإسلام، ويشيعون في الناس الفواحش والمناكير، ويطغون في البلاد ويكثرون فيها الفساد، فمن أمثال هؤلاء كان ﷺ يخاف على أمته وقد وقعت فيما خاف عليها.

[٤٥] وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال: «**إنه سيكون عليكم أئمةٌ تعرفون وتُنكرون، فمَن أنكر فقد برىء، ومَن كره فقد سَلِم، ولكن مَن رَضي وتابع**».

رواه أحمد (٦/٢٩٥)، ومسلم في المغازي (٨/٢٤٣)، وأبو داود في السنة (٤٧٦٠)، والترمذي في الفتن (٣٠٩٣).

قوله: «تعرفون وتنكرون» أي: ترون منهم ما هو معروف في الشرع وما هو منكر. وقوله: «فقد برئ» أي: قطع الصلة بينه وبين ما هم عليه حيث لم يداهنهم ولم يوافقهم على ما يرتكبونه. وقوله: «فقد سلم» أي: من إثم ما يأتونه لأنه أبغض ما هم متلبسون به وكرهه. وقوله: «ولكن من رضي وتابع» يعني من استحسن حالهم وتبعهم على ظلمهم وفجورهم فهو منهم.

وفي الحديث مشروعية الإنكار على ولاة الجور حسب الإمكان ولو بكراهة القلب إن لم يستطع بغيره، فمَن رأى المنكر ولم يستطع إنكاره باليد أو اللسان فكرهه كان في حلٍّ ولم يكن عليه إثم، وهذا من لطف الله بعباده المؤمنين.

***

❋ مصدر الفتن وجهتها

[٤٦] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إنّ الفتنةَ ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»، وفي رواية: «**قرن الشمس**».

وفي رواية: سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول: «**ها إن الفتنة ههنا ـ ثلاثاً ـ حيث يطلع قرن الشيطان**».

وفي رواية: قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «**الفتنة ههنا...**».

وفي رواية: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: «**رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**» يعني: المشرق.

وفي رواية عن سالم بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما يقول: يا أهل العراق ما أسألَكُم عن الصغيرة وأركبَكُم للكبيرة، سمعت أبي عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من ههنا**» وأومأ بيده نحو المشرق «**من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضُكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عزّ وجل: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾**».

رواه البخاري (١٦/١٥٥)، ومسلم (١٨/٣١/٣٢)، والترمذي (٢٠٩٦) ثلاثتهم في الفتن، والألفاظ كلها لمسلم.

[٤٧] وعن ابن عمر أيضاً قال: ذكر النبي ﷺ فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**».

رواه البخاري في الفتن (١٦/١٥٦) وفي مواضع.

قوله: «قرن الشيطان» حمله بعضهم على ظاهره وأن للشيطان قرناً أو قرنين يقرنهما بالشمس عند طلوعها ليسجد له عبدَة الشمس، وقيل: القرن هنا قوة الشيطان وما يستعين به، وقيل: فيه إشارة إلى جيل خاص يعيث في الأرض فساداً، والله أعلم بمراد نبيه ﷺ، وقوله: «وفي نجدنا» النجد كل ما ارتفع من الأرض، وبلاد نجد معروفة، والحديث يحتمل نجداً الإقليم المعروف، ويحتمل كل ما ارتفع من تلك الجهات عن تهامة ومنها مكة

والمدينة، فيكون المراد بذلك نجداً والكويت والبصرة والكوفة وبغداد أو جميع القطر العراقي. وقوله: «هناك الزلازل والفتن» الزلازل جمع زلزال والمراد بها زلزلة القلوب وتحريكها عن مواضعها لكثرة الفتن.

وما في الحديثين صدقه الواقع، فإن أول فتنة فرّقت بين المسلمين وهي قتل عثمان وما تلاه كانت من تلك الجهة الشرقية كما يأتي إن شاء الله تعالى، فكانت مسرحاً للحروب أيام الصحابة فمن بعدهم عبر العصور، ثم إن الفرق الضالّة كالخوارج، والشيعة الروافض، والقدرية، والمعتزلة، وغيرها من هناك ظهرت واستفحل أمرها.

فصلّى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم الذي أطلعه الله عزّ وجل على ما كان وما يكون من الفتن وغيرها.

* * *

❋ بيان الفتن المنصوص عليها والمشار إليها: فتنة قتل عثمان رضي اللّه تعالى عنه

[٤٨] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عثمانُ إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً، فأراد المنافقون أن تخلعَ قميصك الذي قمّصك الله فلا تخلعه»** يقول ذلك ثلاث مرات.

رواه أحمد (٦/٧٥/١٤٩)، والترمذي (٣٤٧١)، والحاكم (٣/٩٩/١٠٠) كلاهما في المناقب، وابن ماجه في المقدمة (١١٢) وحسّنه الترمذي وصححه الحاكم وهو كما قال.

قوله: «قميصك» كنى بالقميص عن الخلافة وهو يفيد أن معارضيه كان فيهم منافقون وخاطئون.

[٤٩] وعن الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت في الشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ فقام آخرهم رجل يقال له: مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، وذكر الفتن فقربها، فمرّ

رجلٌ مُقَنَّعٌ بثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا؟ قال: نعم.

رواه أحمد (٤/٢٣٥)، والترمذي (٣٤٧٠)، والحاكم (٣/١٠٢) وصححه الترمذي والحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه أحمد (٤/٢٣٦) وابن ماجه (١١١) عن كعب بن مرة، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١١/٣٦٧) وأحمد عن كعب بن عجرة بدل مرة بن كعب.

قوله: «مقنع» بضم الميم وفتحتين مع تشديد النون، أي: وضع ثوباً على رأسه تحت عمامته.

في هذين الحديثين إشارة إلى ما حصل للإمام سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وأنه كان على الحق في الفتنة التي أصابته، ويؤيده الحديث المتقدم في فضائله وفيه: **«ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه»** وهو في الصحيح، بل كان في ذلك على عهد من رسول الله ﷺ.

---

[٥٠] فعن أبي سهلة قال: قال لي عثمان يوم الدار إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابرٌ عليه.

رواه الترمذي في المناقب (٣٤٧٣) وحسّنه وصححه.

وكان السبب في الفتنة التي نزلت به ما ذكره الحافظ في «الفتح» ملخصاً من كتب التاريخ: أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه؛ كان بالشام كلها معاوية، وبالبصرة سعيد بن العاص، وبمصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وبخراسان عبدالله بن عامر. وكان من حج منهم يَشْكُون من أميره، وكان عثمان لين العريكة، كثير الإحسان والحلم، وكان يستبدل بعض أمرائه فيرضيهم، ثم يعيده بعدُ إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فعزله، وكتب لهم كتاباً بتولية محمد بن أبي بكر الصدِّيق، فرضوا بذلك، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا راكباً على راحلة فاستخبروه فأخبرهم أنه من عند عثمان باستقرار ابن أبي سرح ومعاقبة جماعة من أعيانهم، فأخذوا الكتاب ورجعوا وواجهوه به فحلف أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا: سلّمنا كاتبك، فخشي عليه منهم القتل، وكان كاتبه مروان بن الحكم وهو ابن

عمه، فغضبوا وحصروه في داره، واجتمع جماعة يحمونه منهم فكان ينهاهم عن القتال إلى أن تسوّروا عليه من دار إلى دار فدخلوا عليه فقتلوه فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم... إلخ.

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلوماً، وقتلته فسقة لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجرِ منه ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة وإنما قتله همج رعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال تحزّبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعه فحصروه حتى قتلوه رضي الله تعالى عنه.

وقد ذكرت قصة قتله مبسوطة في كتابي (فضائل الصحابة).

وكانت هذه الفتنة هي أول فتنة فرّقت بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم وفتحت باب القتال بينهم.

***

❋ فتنة وقعة الجمل

[٥١] عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ**» قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» قال: أنا؟! قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: «**لا ولكن إذا كان ذلك فارددْها إلى مأمنها**».

رواه أحمد (٦/٣٩٣)، والبزار. قال الهيثمي في المجمع (٧/٢٣٤) رجاله ثقات. وقال الحافظ في الفتن من الفتح (١٦/١٦٥) بسند حسن.

فهذا الحديث الشريف مع كونه يتضمن معجزة للنبي ﷺ بإخباره بمحاربة السيدة عائشة الإمام علياً يشير إلى أمرين اثنين هامَّين، أحدهما: صواب الإمام علي رضي الله تعالى عنه وأنه الأوْلى بالحق، وأنه لم يكن شقياً في وقعة الجمل. ثانياً: خطأ مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها في

اجتهادها ذلك، كما أنها لم تخرج بفعلها وخروجها مع طلحة والزبير عن زوجيتها لرسول الله ﷺ بل لا تزال موضع احترام وتعظيم، ولذلك أمر النبي ﷺ الإمام علياً أن يردها إلى بيتها ومحل أمنها رضي الله تعالى عنهما.

[٥٢] وقد جاء عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها عنه ﷺ أنه قال لعلي رضي الله تعالى عنه: **«إن وليت من أمرها - يعني عائشة - شيئاً فارفق بها»**.

رواه الحاكم (١١٩/٣) وصححه على شرط الشيخين.

وقد امتثل الإمام على ما أمره به ﷺ فأحسن إليها وردها إلى المدينة مكرَّمة محترمة.

[٥٣] وعن قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشة رضي الله تعالى عنها فنزلت بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب، قالت: ما أظُنُّني إلا راجعة، فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراكِ المسلمون فيُصلِحُ الله ذات بينهم، فقالت: إن النبي ﷺ قال ذات يوم: **«كيف بإحداكن تنبحُ عليها كلاب الحوأب؟»**.

رواه عبدالرزاق (٣٦٥/١١)، وأحمد (٩٧/٥٢/٦)، وابن أبي شيبة (٢٦٠/٢٥٩/١٥)، وابن حبان بالإحسان (٦٧٣٢)، والحاكم (١٢٠/٣) وسنده صحيح على شرط الشيخين عند بعضهم.

قوله: «فقال لها بعض...» إلخ، القائل هو الزبير كما عند أحمد. وقوله: «الحوأب» بفتح الحاء وسكون الواو بعده همزة مفتوحة. وقوله: «كيف بإحداكن» فيه تلميح بذم صاحبة ذلك وتعجيب من حالها مع مقامها العالي النزيه رضي الله تعالى عنها.

[٥٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: **«أيتكُنَّ صاحبة الجمل الأدْبَب؟ تخرجُ حتى تنبحها كلاب الحوأب يُقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرٌ وتنجو بعدما كادت»**.

رواه البزار، قال الهيثمي في المجمع (٢٣٤/٧) رجاله ثقات.

قوله: «الجمل الأدبب» بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين ا منهما مفتوحة وهو الجمل الكثير الشعر، وكان ذلك مركوب عائشة في الوقعة، فهذه الأحاديث كلها تنص على وقعة الجمل، وأن عائشة رضي الله تعالى عنها ستكون في جملة الجيش وأنه سيقتل دونها قتلى كثير وأنها في سيرها وطريقها ستمر على ماء لبني عامر يقال له: الحوأب وتنبح عليها كلابه، وقد وقع كل ذلك مصداقاً لما أخبر به ﷺ.

وسبب هذه الفتنة العمياء والوقعة الشنعاء هو امتداد من فتنة عثمان رضي الله تعالى عنه، فإنه لما قتل وبويع الإمام علي رضي الله تعالى عنه وكان من المبايعين له طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما كلماه في شأن قتلة عثمان ليقتصوا منهم، فتريث لذلك وقال لهما: حتى تتم البيعة ويأتي أهله للمطالبة بدمه فحينئذٍ نحكم فيهم، فخالف طلحة والزبير... فلم يلبثا أن خرجا قاصدين البصرة بصحبة عائشة للمطالبة بقتلة عثمان، فلما بلغ ذلك علياً خرج وراءهم بجيش ورأى أنهم نكثوا البيعة، فلما لحق بهم بالبصرة كلمهم في ذلك وأقنعهم رجعوا للحق، لكن قتلة عثمان وكان أغلبهم من الكوفة في جيش الإمام علي تآمروا ليلاً وقالوا: إن وقع الصلح فسوف يقتص منا، فنشبوا القتال فثار الجمعان فكان ما كان بدون علم من رؤساء الفريقين، فقتل من الجانبين عشرات الألوف.

وقد اتفق العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى على أن خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله تعالى عنهم لهذا الصلح والمطالبة بدم عثمان في ذلك الوقت بالذات كان خطأً عظيماً منهم رضي الله تعالى عنهم.

وقالوا: إن الحق كان في جانب الإمام علي رضي الله تعالى عنه وكان الآخرون مجتهدين فأخطأوا وهم مغفور لهم، وكيف لا وفيهم طلحة والزبير وهما من العشرة المبشَّرين بالجنة ومن البدريين... وفيهم أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته في الدنيا والآخرة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، لكن الحق لا يستحيي من أحد، وهو أولى من كل قريب وحبيب وصديق.

قوله: «الجمل الأدبب» بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى منهما مفتوحة وهو الجمل الكثير الشعر، وكان ذلك مركوب عائشة في الوقعة، فهذه الأحاديث كلها تنص على وقعة الجمل، وأن عائشة رضي الله تعالى عنها ستكون في جملة الجيش وأنه سيقتل دونها قتلى كثير وأنها في سيرها وطريقها ستمر على ماء لبني عامر يقال له: الحوأب وتنبح عليها كلابه، وقد وقع كل ذلك مصداقاً لما أخبر به ﷺ.

وسبب هذه الفتنة العمياء والوقعة الشنعاء هو امتداد من فتنة عثمان رضي الله تعالى عنه، فإنه لما قتل وبويع الإمام علي رضي الله تعالى عنه وكان من المبايعين له طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما كلماه في شأن قتلة عثمان ليقتصوا منهم، فتريث لذلك وقال لهما: حتى تتم البيعة ويأتي أهله للمطالبة بدمه فحينئذٍ نحكم فيهم، فخالف طلحة والزبير... فلم يلبثا أن خرجا قاصدين البصرة بصحبة عائشة للمطالبة بقتلة عثمان، فلما بلغ ذلك علياً خرج وراءهم بجيش ورأى أنهم نكثوا البيعة، فلما لحق بهم بالبصرة كلمهم في ذلك وأقنعهم رجعوا للحق، لكن قتلة عثمان وكان أغلبهم من الكوفة في جيش الإمام علي تآمروا ليلاً وقالوا: إن وقع الصلح فسوف يقتص منا، فنشبوا القتال فثار الجمعان فكان ما كان بدون علم من رؤساء الفريقين، فقتل من الجانبين عشرات الألوف.

وقد اتفق العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى على أن خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله تعالى عنهم لهذا الصلح والمطالبة بدم عثمان في ذلك الوقت بالذات كان خطأً عظيماً منهم رضي الله تعالى عنهم.

وقالوا: إن الحق كان في جانب الإمام علي رضي الله تعالى عنه وكان الآخرون مجتهدين فأخطأوا وهم مغفور لهم، وكيف لا وفيهم طلحة والزبير وهما من العشرة المبشَّرين بالجنة ومن البدريين... وفيهم أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته في الدنيا والآخرة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، لكن الحق لا يستحيي من أحد، وهو أولى من كل قريب وحبيب وصديق.

[٥٥] ولذلك قال عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما في ذلك الموقف وهو من أكابر أنصار الإمام علي وشيعته المخلصين:

إن عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي؟

رواه البخاري في الفتن (١٦٩/١٦) من طريق عبدالله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة... فذكره.

قال الحافظ في «الفتح»: ومراد عمار بذلك أن الصواب في تلك القصة كان مع علي، وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام، ولا أن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة، فكان ذلك يُعد من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحرِّيه قول الحق. اهـ.

ومن المنصفين في هذا الشأن أيضاً أبو بكرة.

[٥٦] فقد قال رضي الله تعالى عنه: لقد نفعني الله، وفي رواية: لقد عصمني الله بكلمة أيام الجمل: لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملَّكوا ابنة كسرى، وفي رواية: لما هلك كسرى قال النبي ﷺ: «**مَن استخلفوا؟**» قالوا: ابنته، فقال: «**لن يُفلِحَ قومٌ ولوا أمرهم امرأة**».

رواه أحمد (٥١/٤٧/٥)، والبخاري في الفتن (١٦٦/١٦٤/١٦)، والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد تقدم في الإمارة والخلافة.

وظاهر هذا الحديث يدل على عدم جواز ولاية المرأة الولاية العامة بما فيها الرئاسة والخلافة والوزارة والسفارة والقضاء والقيادة وغير ذلك من الولايات التي تحتاج المرأة فيها إلى الاختلاط بالرجال والبروز لهم والاجتماع بهم، وكل أمة أو قوم خالفوا ذلك فولوا المرأة على شأن من شؤونهم العامة فلن يفلحوا أبداً وسيكون مآلهم الانهيار والهلاك طال الزمان

أو قصر. وهذا مذهب كل الأئمة والعلماء إلا بعض الحنفية، فأجازوا للمرأة تولي القضاء للنساء...

وانظر أقوال الأئمة في منعها ذلك عند ابن حزم في «المحلى» (٤٥/١)، و«المغني» لابن قدامة (٣٦/١٠)، وشرح المهذب (١٦٣/١٨) وانظر ما سبق في الخلافة وكتابي (المرأة المتبرجة).

أما رئاسة السيدة عائشة لذلك الجيش فقد أجمع العلماء على خطئها وهي نفسها ندمت على ما صنعت وكانت تبكي على ذلك.

ولا يوجد في تاريخ الإسلام بداية من زمان رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين وزمان السلف أن امرأة وليت شيئاً للخلفاء وما يذكر عن عمر رضي الله تعالى عنه من توليته امرأة وظيفة في السوق هو باطل لا يصح عنه.

* * *

❋ فتنة وقعة صفين

[٥٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعةُ حتى يقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مَقتلةٌ عظيمة دعواهما واحدةٌ»**.

رواه البخاري (١٩٦/١٦)، ومسلم (١٣/١٢/١٨) كلاهما في الفتن، ورواه البخاري أيضاً في دلائل النبوة (٤٢٨/٦).

قوله: «فئتان» أي: جماعتان. قوله: «دعوتهما واحدة» أي: كل من الفئتين يطلب الحق، وهذا قد حصل بين الإمام علي وبين معاوية فإنهما اقتتلا ليالي بصفّين وكان كل منهما يدعو إلى ما يراه حقاً وكان الحق مع الإمام علي باتفاق أهل السنة، وكان معاوية باغياً عليه، ويدل لهذا حديث:

[٥٨] أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه في قصة بناء المسجد

النبوي... وفيه قوله ﷺ: **«ويحَ عمارٌ تقتُله الفئةُ الباغيةُ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»** فجعل عمار يقول: أعوذ بالله من الفتن.

رواه أحمد (٣/٥/٩١)، والبخاري في المساجد (٢/٨٧/٨٨) وفي الجهاد (٦/٣٧٠) وغيرهما. ورواه مسلم في الفتن (١٨/٣٩/٤٠) بلفظ: **«بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية»** ورواه أيضاً عن أم سلمة وأبي قتادة. ورواه الترمذي في المناقب عن أبي هريرة (٣٥٧٢) بلفظ: **«أبشِر يا عمار تقتلك الفئة الباغية»** وحسّنه وصححه، وهذا الحديث متواتر. قال الحافظ في الإصابة: إنها أحاديث متواترة. وأورده في الفتح عن جماعة ثم قال: غالب طرقه صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم. وهكذا ذكره الحافظ السيوطي والإمام ابن جعفر الكتاني في الأحاديث المتواترة.

فهذا الحديث ظاهر في وقعة صفّين لأن عماراً قتل فيها من طرف جيش معاوية وهو نصّ في أنه كان باغياً على الإمام علي يدعو إلى النار، وأن الإمام علياً كان محقاً يدعو إلى الجنة.

قال النووي في شرح مسلم (١٨/٤٠) قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضي الله تعالى عنه كان محقاً والطائفة الأخرى بغاة...

وكان السبب في هذه الفتنة قتل عثمان أيضاً، فإنه لما قتل وبويع الإمام علي رضي الله تعالى عنه من طرف المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد بعث إلى معاوية بالشام أن يبايعه، فامتنع واعتذر بأنه لا يبايع حتى يأخذ له الثأر لابن عمه عثمان، فأجابه الإمام علي بأن يدخل فيما دخل فيه الناس ثم يتحاكمون إليه فيقتص لهم من الجناة، فأصرّ معاوية على رفض البيعة، فخرج علي للعراق، وبعد وقعة الجمل استنفر معاوية الشوام لمحاربته فالتقى الجيشان بصفّين بكسر الصاد والفاء وتشديدها، موضع بالعراق على شاطىء الفرات بين الرقة وبالسر، فكانت تلك الوقعة المشؤومة التي ذهب ضحيتها سبعون ألف مسلم؛ خمسة وعشرون ألفاً من أصحاب الإمام علي وخمسة وأربعون ألفاً من أصحاب معاوية، وكان جيش علي مائة

وعشرين ألفاً، وجيش معاوية تسعين ألفاً، ودامت هذه الحرب مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة.

وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم انقسموا في هذه الفتنة ثلاث فرق: فرقة كانت مع الإمام علي وهم الأكثر، إذ كان معه سبعون بدرياً، وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من بقايا سائر المهاجرين والأنصار، وباقيهم من سائر الآفاق، وفرقة كانت مع معاوية وهم قلائل، وممن عرف منهم: عمرو بن العاص وابنه عبدالله، والمغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن خديج، ومسلمة بن مخلد في آخرين قلائل.

وقسم اعتزلوا الفريقين، ولم يهتدوا لفريق الصواب، وكان منهم: ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وأبو بكرة وغيرهم، ولما قتل عمار وكان في جيش الإمام علي اتضح الحق ولحق جماعة ممن اعتزلوا بجيش الإمام علي، كما ندم آخرون على عدم نصرته والقتال معه.

والحمد لله الذي عافانا من تلك الفتن، ولو كنا من أهلها لنصرنا الإمام علياً وقاتلنا معه حتى الموت.

* * *

❋ فتنة قتال الخوارج

[٥٩] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخُوَيْصِرَة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «**ويلك، ومَن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل**» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضربَ عُنُقَه، فقال: «**دعه فإن له أصحاباً يَحقِرُ أحدُكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرُقون من الدين كما يمرُق السهم من الرمِيَّة**»، قال: «**آيتهم رجلٌ أسودُ إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ، يخرجون على حين فرقة من الناس**».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعتُ هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتُمِسَ فأُتِي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ.

رواه أحمد (٣/٥٦/٥٧)، والبخاري في دلائل النبوة (٧/٤٣٠) وفي أحاديث الأنبياء (٧/١٨٧) وفي المغازي (٩/١٣٠/١٣١) وفي استتابة المرتدين (١٥/٣٢٠/٣٢٤)، ومسلم في الزكاة (٧/١٦١/١٦٢/١٦٧)، وأبو داود (٤٧٦٣) وغيرهم.

وفي رواية للبخاري: **«يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»**، وفي رواية لمسلم: **«يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق»**، قال: **«هم شر الخلق أو من شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»**.

وفي رواية لأبي داود عن أُبي وعن أنس: **«هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه سيماهم التحليق»**.

وفي رواية لمسلم (٧/١٦٨)، والنسائي في الكبرى (٥/١٥٨/١٥٩): **«تمرُق مارقة عن فرقة من المسلمين...»** إلخ.

قوله: «ويلك» أي: لك الهلاك. وقوله: «تراقيهم» جمع ترقوة وهي الحناجر. «يمرقون» أي: يخرجون. «تدردر»: بفتح الدالين بينهما راء ساكنة أي: تتحرك. «التحليق» أي: حلق رؤوسهم. «أدنى» أي: أقرب الطائفتين. قوله: «المخدج» أي: الناقص الخلقة.

[٦٠] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله»**.

وفي رواية: **«يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، يحسبون**

من رسول الله ﷺ،
قاتلهم وأنا معه فأمر
ت النبي ﷺ.

النبوة (٧/٤٣٠) وفي
) وفي استتابة المرتدين
١٦٧/١٦)، وأبو داود

عون أهل الأوثان لئن أنا
يخرجون في فرقة من
من شر الخلق يقتلهم

م شر الخلق والخليقة،

لكبرى (٥/١٥٨/١٥٩):

قيهم» جمع ترقوة وهي
الدالين بينهما راء ساكنة
» أي: أقرب الطائفتين.

سمعت رسول الله ﷺ
سنان، سفهاء الأحلام،
حناجرهم، يمرقون من
فاقتلوهم فإن في قتلهم

قراءتهم بشيء، يحسبون

أنه لهم وهو عليهم، ولو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى الله لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل... وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض».

قال علي: فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله... وفيه قول علي: التمسوا فيهم المُخَدَّجَ، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبّر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: **«إي، والله الذي لا إله إلا هو»** حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف.

روى جميعها مسلم في كتاب الزكاة (٧/١٦٩/١٧٣)، ورواه البخاري في استتابة المرتدين (١٥/٣١٤/٣١٦) باللفظ الأول. ورواه أحمد (١/٩١/٩٢) وأبو داود (٤٧٦٨) بالرواية الثانية.

[٦١] وعن سهل بن حُنَيف رضي الله تعالى عنه أنه سئل هل سمعت النبي ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته يقول: **«يَتيهُ قومٌ قِبَلَ المشرق محلقة رؤوسهم»**.

رواه مسلم (٧/١٧٥).

[٦٢] وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: **«شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوه، كلاب النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً»**، فقيل له: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ.

رواه أحمد (٥/٢٥٣/٢٥٦)، والترمذي في تفسير سورة آل عمران (٢٨٠٨) وابن ماجه (١٧٦) بسند حسن.

قوله: «أحداث الأسنان» أي: شباب. «سفهاء الأحلام» أي: لا عقول لهم ناضجة، «يقولون من خير قول البرية» فقد كانوا يقولون: لا حكم إلا للّه.

فهذه الأحاديث صريحة في الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله تعالى عنه، وكان السبب في ذلك أنه لما أشرف جيش معاوية على الهزيمة بَيَّت أصحاب معاوية مكيدة ضد الإمام علي برئاسة عمرو بن العاص فدعوا إلى التحكيم ورفعوا المصاحف فقبل الإمام علي رضي الله تعالى عنه فخلعوه وأقرُّوا معاوية، فخرجت جموع غفيرة من جيش الإمام علي وكفَّروه وكفَّروا كل من وافق على التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا للّه، واستباحوا دماء مخالفيهم وأموالهم، وكان فيهم كثير من القراء والزهّاد وبعض الصحابة، ومنهم ذو الخويصرة التميمي الذي قال للنبي ﷺ: اعدل فإن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله. وفيهم المخدج الذي لا ذراع له وإنما إحدى عضدَيْه على رأسها مثل ثدي المرأة تتحرك.

فبعث الإمام علي إليهم عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يذكرهم ويدعوهم إلى الرجوع إلى الحق فتاب ورجع منهم عدد كبير وأصرّ الباقون على خروجهم فأخافوا الطريق، وأراقوا الدماء، فخرج إليهم الإمام فقاتلهم قتالاً شديداً حتى هزمهم وبحث عن المخدج فوجده، وكان ذلك علامة على صواب الإمام رضي الله تعالى عنه دونهم، وظهرت معجزة النبي ﷺ في إخباره بهم وبصفاتهم وأنهم شر الخليقة يقتلون المسلمين ويتركون الوثنيين، يحسنون القول ويسيئون الفعل مع كثرة صلاتهم وقراءتهم القرآن، وأنهم كلاب النار شر القتلى، طوبى لمن قتلهم وقتلوه.

ووقعتهم مع الإمام هي المعروفة بوقعة النهروان.

وهؤلاء هم أصل الخوارج الذين صارت بعد ذلك لهم مبادىء وعقائد وفروع متطرفة مخالفة لأهل السنة والجماعة.

وقد قدّمت بعض الكلام عليهم في الخلافة وتوابعها فارجع إليها، كما ذكرت ذلك مفصّلاً في كتابيّ: «فضائل الصحابة»، وفي «الأنوار الباهرة».

* * *

❁ فتنة قتل الإمام علي رضي اللّه تعالى عنه

[٦٣] عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال له ولعلي: **«ألا أُحدِّثكما بأشقى الناس؟»** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«أُحَيمِرُ ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه** - يعني قرنه - **حتى تبْتَلَّ هذه من الدم** - يعني لحيته -».

رواه أحمد (٤/٢٦٣)، والحاكم (٣/١٤١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وكذا صححه السيوطي في تاريخ الخلفاء.

وللحديث شواهد عن جابر بن سمرة وصهيب وغيرهما.

قوله: «أحيمر» هو تصغير أحمر. و«عاقر الناقة»: يعني ناقة صالح عليه السلام، وكان اسمه قُدَار على وزن غراب. وقوله: «قرنه» يعني رأسه.

[٦٤] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: إن مما عهد إليّ النبي ﷺ أن الأمةَ تستغْدِرُ بي بعده.

رواه الحاكم (٣/١٤٠/١٤٢/١٤٣) وصححه ووافقه الذهبي.

كان السبب في قتل الإمام علي واستشهاده رضي الله تعالى عنه أنه لما وقع التحكيم بينه وبين معاوية وخرج عليه الخوارج وكفّروه كما كفّروا طلحة والزبير وعثمان ومعاوية وكل من كان معهم، وقاتلهم الإمام علي رضي الله تعالى عنه وهزمهم وانتصر عليهم، انتدب ثلاثة من الخوارج وتآمروا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص باعتبار أن هؤلاء الثلاثة هم قادة الفتنة، وتعاهدوا على أن يكون ذلك في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو سابع عشر من رمضان وذلك سنة أربعين من الهجرة. ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه فقدم اللعين الأشقى عبدالرحمٰن بن مُلْجم المرادي الكوفي فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون، فلما كانت الليلة المعهودة وكانت صبيحة يوم الجمعة وقد خرج الإمام علي من الباب ينادي: أيها

الناس الصلاة الصلاة، اعترضه المقيت ابن ملجم فضربه بالسيف المسموم على رأسه فأصاب دماغه وأقام الجمعة والسبت وتوفي يوم الأحد رضي الله تعالى عنه. ذكره ابن سعد وغيره، وكان ذلك عام أربعين وعمره ثلاث وستون سنة.

ولما توفي رضي الله تعالى عنه أُخذ ابن ملجم فعذّبوه وقطعوا بعض أطرافه ثم قتلوه وأحرقوه، علماً بأن الإمام علياً كان قد أوصاهم به خيراً وأمرهم أن يُحسنوا قتله. وقد أساء وما أحسن عمران بن حطان الخارجي حيث قال يمدح ابن ملجم:

يَا ضَرْبَةً مِن تقِيٍّ ما أرادَ بِهَا ... إلا لِيَبْلُغَ مِن ذي العرش رضوانَا
إني لأذكرُهُ يوماً فأحسِبُهُ ... أوْفَى البريَّةِ عِندَ اللّهِ ميزانَا
أكرم بقوم بطونُ الأرض أقبُرهُم ... لم يُخَلِّطُوا دينَهم بغياً وعُدْوَانَا

وقد أحسن وأجاد الإمام أبو الطيب الطبري رحمه الله تعالى حيث قال:

إني لأبرأُ مِمّا أنتَ قائِلُهُ ... في ابن مُلْجِمِ الملعون بُهْتَانَا
إني لأذكره يوماً فألعنُه ... ديناً وألعن عِمرانَ بن حِطَّانا
عليكَ ثُم عليه الدَّهْرَ مُتَّصِلاً ... لعائنُ الله إسراراً وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء بذا ... نصُّ الشريعة برهاناً وتِبْيَانَا

فهنيئاً للإمام علي عليه السلام بالشهادة على يد هذا اللعين، إذ الشهادة منزلة عالية لا ينالها ويحرز عليها إلا المصطفون من خلق الله تعالى وقليل ما هم، إذ ليس كل من يُقتل يكون شهيداً، فهيهات هيهات. فنسأل الله عزّ وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ثم بنبيه وابنته الزهراء والحسنين والمهاجرين والأنصار وباقي الصحابة الكرام أن يمنَّ علينا ويختم لنا بالشهادة، آمين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

[٦٥] عن عبدالله بن نُجَي عن أبيه أنه سار مع علي وكان صاحبَ مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صِفِّين فنادى علي: اصبر أبا عبدالله، اصبر أبا عبدالله بشَطِّ الفرات. قلت: وما ذاك؟ قال: دخلتُ على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله أغضبكَ أحدٌ؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «**بل قام من عندي جبريل قبلُ فحدّثني أن الحُسين يُقتل بشط الفرات**»، قال: فقال: «**هل لك إلى أن أُشِمَّك من تربته؟**» قال: «قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينَي أن فاضتا».

رواه أحمد (٨٥/١) بسند صحيح، وأورده الهيثمي (١٨٧/٩) برواية أحمد والبزار والطبراني، وقال: رجاله ثقات.

«نينوى»: بكسر النون الأولى وفتح الثانية آخره ألف مقصورة: بلدة بالعراق كان منها نبي الله يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام. «شط» بفتح الشين: جانب الوادي. «الفرات» بضم الفاء: نهر عظيم بالعراق ينحدر من جبال تركيا كدجلة ويشق العراق ثم يصب في الخليج العربي. «تفيضان» بفتح التاء، أي: بالدمع.

في هذا الحديث معجزة للنبي ﷺ كسابقيه، وعلم من أعلام النبوة، حيث أخبر بفتنة قتل الحسين قبل وقوعها بعدة عقود مع تعيين القطر والموضع فصدق الله ذلك، ووقع كما قال.

وسبب هذه الفتنة أن معاوية كان قد عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة في حياته، فلما مات بايعه أهل الشام، ثم بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة فامتنع الحسين وابن الزبير في آخرين من بيعته نظراً لكونه غير أهل ولا مستحق للخلافة، ثم خرج الحسين وابن الزبير لمكة المكرمة فجعل أهل العراق يكاتبون الحسين بالقدوم إليهم ليبايعوه، وجاءته من طرفهم عدة

رسائل وكتب، فبعث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ له البيعة منهم، فذهب ونزل الكوفة، فاجتمع إليه نحو من ثمانية عشر ألفاً فبايعوه على إمرة الحسين وحلفوا له لَيَنْصُرُنَّه بأنفسهم وأموالهم. فبلغ ذلك عبيدالله بن زياد وكان أمير البصرة من قبل يزيد، فخرج إلى الكوفة بعد أن ضمها إليه يزيد فجمع أشراف الناس وأمراء القبائل فخطبهم ورغّبهم، ورهّبهم، وخذل الناس وأفسد كل من كاتب الحسين وبايعه بواسطة مسلم بن عقيل، فتفرّق الجميع وبقي مسلم بن عقيل وحده وهام على وجهه واختفى عند امرأة ثم دُلَّ عليه فألقي عليه القبض وأُتي به ابن زياد فقتله. وخرج الحسين عليه السلام متوجهاً للعراق في أهل بيته وأقاربه وذويه بعد أن حذّره جماعة من أهله وذوي الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عبدالله بن عمر وقالوا له: لك العبرة بما فعله أهل العراق بأبيك وأخيك.

[٦٦] وقال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: إن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعةٌ من رسول الله ﷺ كذلك يريد منكم، فأبى، فاعتنقه ابن عمر وقال: أستودعك الله والسلام.

رواه البزار والطبراني وابن حبان (٦٩٦٨) بسند حسن، وقال الهيثمي (١٩٢/٩): رجال البزار ثقات.

ولما وصل الحسين العراق وجد الأمر على خلاف ما كان يظن، فبعث إليه عبيدالله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف مقاتل أكثرهم ممن كان يكاتبه، وبايعه بواسطة ابن عمه مسلم بن عقيل وطلبوا منه النزول على حكم عبيدالله بن زياد وبيعته ليزيد فأبى الاستسلام لذلك فقاتلوه ومنعوه الماء ثلاثة أيام فقاتلهم هو وأصحابه وأهل بيته قتال الأبطال حتى قتل بين يديه جميع من كان معه، وكانوا لا يزيدون على اثنين وسبعين رجلاً... وبقي وحده، ثم هاجموه وأحدقوا به وهو يقاتل يميناً وشمالاً حتى أثخنوه ثم قتلوه وحزوا رأسه ووطأوا جسده الشريف بالخيل وداسوه بحوافيرها حتى ألصقوه بالأرض.

هكذا فعل الأمويون وأذنابهم ببضعة رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، جازاهم الله بما يستحقون.

[٦٧] وكان قد قُتِلَ معه في هذه المعركة الأليمة من أهله وأقاربه: أولاده الأربعة: علي الأكبر، وعبدالله، وأبو بكر، والقاسم. أبناء الحسين عليهم السلام وإخوته الخمسة: العباس، وجعفر، وعبدالله، وعثمان، وأبو بكر، أولاد الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام وولدا عمه جعفر بن عقيل، وقبله مسلم بن عقيل وابن عمه محمد بن جعفر، وابن ابن عمه عون بن عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم.

رواه الطبراني. قال الهيثمي (١٩٨/٩): بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: قتل مع الحسين بن علي عليهما السلام ستة عشر رجلاً من أهل بيته والله ما على ظهر الأرض يومئذ أهل بيت يشبهونهم.

وعلى أيٍّ، فلم يتقدم في تاريخ الإسلام فجيعة ولا رزية أفظع وأقبح من قتل الحسين وأهل بيته.. على كثرة ما وقع في الإسلام من نكبات.

ولذلك مقت كل مسلم يحب الله ورسوله وأهل بيته يزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد منذ ذلك الحين حتى وقتنا هذا وإلى ما شاء الله وبقي مسلم على وجه الأرض.

ماذَا تقولُون إن قال النبيُّ لكُم ... ماذا فعلتُم وأنتُم آخِرُ الأمَمْ
بعِتْرَتِي وبأنصاري وذُرِّيَّتِي ... منهم أُسارى وقَتْلَى ضُرِجُوا بدَمْ
ما كانَ هذا جَزَائِي إذا نَصَحْتُ لكُمْ ... أن تخلفوني في ذَوِي رَحِمْ
أتَرْجُو أمةٌ قتلتْ حُسَيْناً ... شفاعةَ جدِّه يومَ الحِسَابْ

* * *

[٦٨] عن ثروان بن ملحان قال: كنا جلوساً في المسجد فمرّ علينا عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما فقلنا له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الفتنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يكون بعدي قوم يأخذون المُلْكَ يَقتلُ عليه بعضُهم بعضاً»**، قال: قلنا له: لو حدّثنا غيرُك ما صدّقناه، قال: **«فإنه سيكون»**.

رواه أحمد (٢٦٣/٤)، وابن أبي شيبة، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٩٢/٧) برواية أبي يعلى (١٦٥٠) والطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير ثروان وهو ثقة وله شاهد عن جابر رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٦٥) ورجاله ثقات غير عبد الأول المعلم، فقال في المجمع (٢٩٢/٧): لم أعرفه.

هذا من أعلام النبوة، وقد صدقه الواقع والتاريخ، فكم أُريقت من دماء وانتُهكت من حرمات ونُهبت من أموال وقُتل من شيوخ ونساء وأطفال وأبرياء عبر التاريخ في سبيل الاستيلاء على البلاد وطلب المُلك والرئاسة حتى وجد بكثرة من قام ضد والده أو أخيه أو عمه... وحتى في المائة الأولى وقع ما وقع من سفك الدماء في طلب المُلك لإقامة الخلافة كما في الأثر التالي:

[٦٩] عن أبي المنهال قال: لما كان ابن زياد ومروان بالشام، ووثب ابن الزبير بمكة، ووثب القراء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه حتى دخلنا عليه في داره وهو جالس في ظل عُلِّيَّة له من قصَب، فجلسنا إليه فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: يا أبا برزة ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء سمعتُه تكلم به: إني احتسبتُ عند الله أني أصبحتُ ساخطاً على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد ﷺ حتى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشام والله إن يقاتل إلا على الدنيا، إن هؤلاء الذين بين أظهركم

والله إن يقاتلون إلا على الدنيا، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا.

رواه البخاري في الفتن (١٦/١٨٣/١٨٥).

«عُلَّية»: بضم العين وكسرها وكسر اللام وتشديدها وفتح الياء المشددة هي الغرفة. قوله: «الذي بالشام» هو مروان بن الحكم. وقوله: «الذين بين أظهركم» هم الخوارج المعنيون بالقراء. وقوله: «الذي بمكة» هو عبدالله بن الزبير.

كان أبو برزة رضي الله تعالى عنه يرى أن هؤلاء المتنازعين المذكورين كلهم كانوا يتقاتلون على الدنيا وطلب المُلك وليس على الدين وإقامة الخلافة الراشدة، غير أن الجمهور كانوا يرون الخلافة لابن الزبير دون معارضيه، وحروب هؤلاء مع بعضهم البعض، قد أسهبت في تفاصيلها كتب تاريخ الإسلام ومنها «تاريخ الطبري» ثم «تاريخ ابن الأثير»، و«البداية والنهاية» لابن كثير فليرجع إليها من أراد الاطلاع على تفصيل ذلك.

* * *

❋ فتنة الأحلاس وغيرها

[٧٠] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفِتَن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنةَ الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: **«هي هَرَبٌ وحَرَبٌ، ثم فتنة السراء، دَخَنُها من تحت قدَمَيْ رجُلٍ من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجلٍ كوركٍ على ضلَعٍ، ثم فتنة الدُّهَيْماء لا تدَعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطمَتْه لطْمةً، فإذا قيل انفضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصيرَ الناسُ إلى فُسْطاطَيْن، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»**.

رواه أبو داود في الفتن (٤٢٤٢) بسند صحيح.

«حرب»: بفتحتين: هو ذهاب المال والأهل. «دخنها»: بفتح الدال والخاء أي: إثارتها وهيجانها وظهورها. «كورك على ضلع» أي: لا يناسبه الملك ولا يلائمه كالورك على ضلع فإنه لا يلائمه. «فتنة الدهيماء» أي: السوداء المظلمة وقيل: الداهية. «فسطاط»: الفسطاط الخيمة الكبيرة والمراد بها هنا الفرقة المنحازة عن الفرقة الأخرى.

في هذا الحديث أيضاً معجزة للنبي ﷺ وعلَم من أعلام نبوته حيث أخبر بفتن ودواهي ستصيب المسلمين في مستقبل الزمان وأنه تنزل بهم فتنة تسمى فتنة الأحلاس للزومها ودوامها وطول لبثها كلزوم الأحلاس والبسط للبيوت، وهي فتنة عظيمة يكثر فيها الفرار والمحاربة ونهب الأموال وسبي الأهل أو موتهم، ثم تصيبهم فتنة أخرى وهي فتنة النِعَم التي تسر من صحة ورخاء وعافية ويكون أصلها وظهورها من رجل يزعم أنه من أهل البيت والنبي ﷺ بريء منه لأنه ظالم فتّان لا يستحق الخلافة، وأولياء النبي ﷺ هم المتقون لا غيرهم، ثم بعد فِتَن وحروب يقع الصلح بين الناس فيبايعون رجلاً لا يستقيم له الأمر لأنه ليس أهلاً له ثم تأتي فتنة أخرى سوداء مظلمة لا تترك أحداً إلا أصابته وضربته، وتتمادى هذه الفتنة حتى إذا قيل خمدت وانتهى أمرها استمرت وبلغت غايتها، وبعد هذه العمياء السوداء يصير الناس فرقتين فرقة مؤمنة صالحة ليس في أهلها شائبة نفاق، وفرقة منافقة ليس في إحداها مؤمن فإذا مرت هذه الفتن وافترق الناس على هذا النحو حان وقت خروج الدجال.

فهذه عدة فتن تنبأ بها النبي ﷺ عن ربه عزّ وجل ولا شك أن أكثرها قد وقع ولا ندريها بالضبط وبقي منها ما يعقبه خروج الدجال، وسيأتي بيان وقت خروجه والحالة التي يخرج عندها.

* * *

❋ ثلاث فتن لا يتركن شيئاً

[٧١] عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى كان يقول: قال حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي

كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسَرَّ إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: **«منهن ثلاثٌ لا يكَدْنَ يذَرْنَ شيئاً، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار»** قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

رواه مسلم في الفتن (١٥/١٨).

في هذا الحديث إشارة إلى عدة فتن ستكون عظيمة هائلة دواهي تحصد الناس حصداً. وقد تكون هذه الفتن هي ما حصل في وقائع الجمل، وصفِّين، والنهروان، فإنها لم تذر شيئاً، وقد قتل فيها كثير من بقايا أفاضل الصحابة، وقد تكون مشيرة أيضاً إلى وقعة الحرة التي كانت بين أهل المدينة المنورة وجيش يزيد الذي بعثه من الشام لقتالهم عام (٦٣) من الهجرة فإنه قُتل فيها كثيرٌ من بقايا المهاجرين والأنصار دفاعاً عن مدينة الرسول ﷺ فاستشهدوا وقتل أكابر أولاد الصحابة واستحلّ جيش يزيد المدينة ثلاثة أيام وجالت الخيل في المسجد النبوي الشريف وانتهبت البيوت وافتُضّت الأبكار واستُحلّت الفروج، ثم أنزل الله تعالى بأسه بيزيد وقائد جيشه في القريب العاجل. وقد جاء عند عبدالرزاق (٣٥٨/١١) والبخاري عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: ثارت الفتنة الأولى فلم يبقَ ممن شهد بدراً أحد، ثم كانت الفتنة الثانية فلم يبقَ ممن شهد الحديبية أحد، قال: وأظن لو كانت الثالثة لم ترفع وفي الناس صباح... فالفتنة الأولى فتنة قتل عثمان، والثانية فتنة وقعة الحرة.

* * *

❁ فتنة قتال الروم للمسلمين واستعمارهم بلادهم

[٧٢] عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلةُ إلى قَصْعَتِها»**، فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: **«بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغثاءِ**

السيل، ولَيَنْزِعَنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، ولَيَقْذِفَنَّ الله في قلوبكم الوَهْن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوَهْنُ؟ قال: **«حُبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت»**.

رواه أحمد (٥/٢٧٨)، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٨٢) وسنده صحيح عند أحمد، وله شاهد عن أبي هريرة رواه أحمد (٢/٣٥٩) وسنده ضعيف.

«يوشك»: أي يقرب. «تداعى» بفتحات، أي: تجتمع عليكم ويدعو بعضهم بعضاً إلى محاربتكم. «الأكلة» بفتحات: جمع آكل. «غثاء» بضم الغين، هو ما يجمعه السيل من القمامة والزبل. «الوهن» بفتح الواو وسكون الهاء، هو الضعف.

وفي الحديث علَم من أعلام النبوة ومعجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر باجتماع الأمم الكافرة على محاربة المسلمين، وقد حصل هذا مراراً، لكن الحديث يتجلى في الحروب الصليبية في القرون الوسطى حيث اجتمعت دول أوروبا وهاجمت بلاد المسلمين حتى أخذوا منهم بيت المقدس وكثيراً من بلادهم، ثم تجلّى مرة ثانية في الحرب العالمية الأولى حيث اتفقوا أيضاً على غزو جميع بلاد المسلمين فهاجموهم واقتسموها بينهم واستعمروها عقوداً، ولا زال استعمارهم ظاهراً في بلاد الإسلام.

وذكر النبي ﷺ أن سبب ذلك هو ضعف المسلمين مادياً ومعنوياً وحبهم الدنيا وكراهيتهم القتال والموت في سبيل الله.

أما قوله: «ولكنكم غثاء...» إلخ، فهذا ينطبق على مسلمي زماننا فهم مع كثرتهم لا تقوم منهم قائمة لإعراضهم عن دينهم واقتفائهم حضارة الغرب وتوغلهم في اتباع الشهوات ومحاربة الله تعالى ومجاهرته بأنواع المعاصي وكبار الذنوب بأمرائهم وشعوبهم... مع تفوُّق العدو عليهم بالأسلحة المتطورة والصناعات الحديثة والأمر كله لله من قبل ومن بعد.

[٧٣] وعن ذي مخبر رضي الله تعالى عنه رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستصالحون الروم صلحاً**

آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليبُ، فيغضبُ رجل من المسلمين فيَدُقُّه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة» وفي رواية: **«ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيُكرم اللّهُ تلك العصابة بالشهادة»**، وفي رواية: **«فيجتمعون لكم فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف»**.

رواه أحمد (٤/٩١، ٥/٤٠٩)، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٢)، وابن ماجه (٤٠٨٩) في الفتن، وسنده صحيح.

قوله: «آمناً» أي: ذا أمن. «بمرج»: هو الموضع الذي ترعى فيه المواشي والدواب. «تُلُول»: جمع تَلّ وهو ما اجتمع من الأرض من تراب ورمل وارتفع شيئاً ما. وقوله: «غاية» أي: راية.

في هذا الحديث تنبؤ من حضرة النبي ﷺ بما سيقع بين المسلمين والروم وأنه سيقع بينهم صلح ويتشاركون في قتال عدو للجانبين ثم تغدر الروم فيتقاتلون مع المسلمين فينتصر الروم عليهم لكثرتهم ويكرم الله المسلمين بالشهادة، ومثل هذا الذي أشار إليه الحديث قد وقع في الشرق والأندلس، والله تعالى أعلم.

[٧٤] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك المسلمون أن يُحاصَروا إلى المدينة حتى يكون أبعدُ مسالِحِهم سَلاح»**.

رواه أبو داود في الفتن (٤٢٥٠)، وفي الملاحم (٤٢٩٩)، والحاكم في الفتن (٨٦٠٦/٨٠٧) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قوله: «مسالحهم» هو جمع مسلحة، وهم القوم الذين يحفظون الثغور من العدو لأنهم يكونون ذوي سلاح، وقيل: المراد بالمسلحة هنا موضع الثغر، و«سَلاح» موضع قريب من خيبر.

وما في هذا الحديث الشريف لم يأتِ بعد ولا يعرف في التاريخ أن

الكفار حاصروا المسلمين إلى المدينة وأن ثغرهم كان بسلاح قرب خيبر وسيكون ما أخبر به النبي ﷺ في وقت لاحق ولا بد مصداقاً لما تنبأ به.

[٧٥] وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنّ فُسطاطَ المسلمين يوم المَلْحمة بالغُوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام»**.

رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩٨) وسنده صحيح ولا يضر هنا هشام بن عمار.

قوله: «فسطاط» هو بضم الفاء: أي: حصنهم من الفتن وأصل الفسطاط الخيمة. «الملحمة» أي: الوقعة العظيمة في الفتنة. «بالغوطة» بضم الغين، موضع بالشام كثير المياه والشجر، وهي مشهورة بدمشق بكسر الدال وفتح الميم.

والحديث يفيد أنه ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين والكفار بالشام، وأن حصن المسلمين سيكون بغوطة دمشق، وقد تكون هذه الوقعة قد مضت في غابر التاريخ، وقد تكون لا زالت مرتقبة، فالله تعالى أعلم.

وفي الحديث فضل دمشق وفضيلة أهلها، وقد وردت أحاديث في فضائل الشام أفردها العلماء بالتأليف.

وتقدم لنا حديث: **«اللهم بارك لنا في شامنا»** وهو في الصحيح.

[٧٦] وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله أين تأمُرُني؟ قال: **«ههنا»** ونحا بيده نحو الشام.

رواه أحمد (٣/٥)، والترمذي في الفتن (٢٠٢٣) وحسّنه وصححه.

وهذا الفضل يكون للشام وأهلها ما لم ينحرفوا عن الدين وينسلخوا من تعاليمه، فإذا فعلوا لم يبقَ خير في عموم الأمة للحديث التالي:

[٧٧] فعن قرة بن إياس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فسدَ الشامُ فلا خيرَ فيكم»**.

رواه أحمد (٤٣٦/٣)، والترمذي في الفتن (٢٠٢٢) بتهذيبي، وابن حبان (١٨٥١) وحسّنه وصححه الترمذي، وسنده عنده على شرط مسلم.

والآن أصبحت الشام كسائر البلاد الإسلامية يحكمها العلمانيون الإباحيون والشعب متفسخ متميع والمؤمنون الملتزمون غرباء قلائل كسائر بلاد الإسلام باستثناء الحرمين الشريفين ونحوهما، فالدين بهما قائم ظاهر والحمد لله مصداقاً لقوله ﷺ:

[٧٨] إن «الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرِزُ بين المسجدين كما تأرز الحية في حجرها».

رواه أحمد (٣٨٩/٢)، ومسلم في الإيمان (٩٠/١) من حديث أبي هريرة.

«تأرز» أي: تجتمع، ومعناه أن الإيمان سيجتمع أيام غربته إلى مكة والمدينة لأنهما دار الإسلام ومقره وأصله، فالحمد لله على ذلك.

فالأمة والحمد لله لا يزال فيها خير فلا تجتمع على ضلالة كالتالي:

[٧٩] فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: - أمة محمد على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومَن شذّ شذّ إلى النار».**

رواه الترمذي في الفتن بهذا السياق (١٩٩٦) وفي سنده سليمان بن سفيان وهو ضعيف لكن للحديث طرق وشواهد يصحح معها، فإنه وارد عن ابن عباس وأنس وأبي ذر وأبي هريرة وحذيفة وبعضها شاهد لبعض فقراته.

ورواه الحاكم من طرق (١١٦/١) وأشار إلى أنه صحيح بل تساهل ابن الهمام وغيره فحكموا بتواتره.

فالحديث نصّ في أن الأمة لا يكون جميعها مجمعين على الضلال وأنه لا بد أن يكون فيها مَن هو قائم بأمر الله من العلماء الربانيين ومَن

يقتفي أثرهم من العامة لقوله ﷺ في الحديث المتواتر: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» وقد تقدم تخريجه في أول الكتاب.

* * *

❋ فتنة صحبة ذوي السلطة والدخول عليهم

[٨٠] عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة، خمسة، وأربعة، أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: «**اسمعوا وأطيعوا، هل سمعتم أنه سيكونُ بعدي أمراءُ، فمَن دخل عليهم فصدّقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولستُ منه وليس بوارد علي الحوض، ومَن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض**».

وفي رواية: قال لي رسول الله ﷺ: «**أُعيذك بالله يا كعبُ بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمَن غشي أبوابهم...**» فذكره بمعناه.

رواه أحمد (٤/٢٤٣)، والنسائي في البيعة (٧/١٤٣)، والترمذي في الصلاة (٥٤٧) وفي الفتن (٢٠٨٧)، وابن حبان (١٥٧١/١٥٧٢/١٥٧٣) بأسانيد صحيحة، وحسّنه الترمذي وصححه في الفتن وللحديث شواهد منها عن جابر. رواه ابن حبان (١٥٦٩) والحاكم (٣/٤٧٩/٤٨٠) بسند صحيح. وعن خباب بن الأرت رواه ابن حبان (١٥٧٤) وعن ابن عمر رواه أحمد (٥٧٠٢) وغيرهم.

قوله: «أعيذك» أي: أجيرك. وقوله: «من أمراء» أي: من الدخول عليهم وصحبتهم. وقوله: «يكونون من بعدي» يعني سفهاء ظلمَة مارقين مفسدين كذبَة. قوله: «فمَن غشي» أي: دخل عليهم. «فليس مني» أي: لا صلة بيني وبينه، فأنا بريء منه.

وفي الحديث ذم الأمراء الظلمَة وخاصة المفسدين منهم. وفيه التنفير من الدخول عليهم وتصديقهم في باطلهم وكذبهم ولو بالسكوت، ومداهنتهم، فمَن فعل ذلك فليس له بالنبي ﷺ صلة وسيحرم من ورود حوضه ﷺ.

فيا ويل ويا خسارة العلماء المنافقين الذين يغشون مجالس الأمراء الظلمَة بله العلمانيين والإباحيين، فتلك فتنة لا توازيها فتنة، ولذا جاء في الحديث التالي:

[٨١] فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَن سكن البادية جفا، ومَن اتبع الصيد غفل، ومَن أتى أبواب السلطان افْتُتِن**»، وفي رواية: «**مَن بدا جفا**».

رواه أحمد (٣٣٦٢)، وأبو داود في الصيد (٢٨٥٩)، والنسائي في الكبرى (٣/١٥٤)، والترمذي في الفتن (٢٠٨٤) ورجاله رجال الصحيح غير أبي موسى فمجهول، غير أنه رواه البزار بسند حسن كما قال الهيثمي والمناوي، وللحديث شاهد عن أبي هريرة رواه أبو داود (٢٨٦٠) وفي سنده شيخ مجهول.

وعلى أيٍّ، فالحديث ثابت، وقد أحسن وأصاب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في حواشي «المسند» حيث جزم بصحته.

قوله: «جفا» أي: قسى قلبه وغلظ لابتعاده عن أهل العلم وصحبتهم، وانشغاله بالفلاحة ورعاية المواشي. وقوله: «غفل» أي: عن العبادة وإتيان القربات. وقوله: «ومَن أتى أبواب السلطان» أي: غشي أبواب ذوي السلطة طمعاً فيما عندهم من الدنيا، فمَن فعل ذلك وتردد عليهم افتتن في دينه، لأن المتردد عليهم لا يخلو حاله معهم من أحد أمرين: إما أن يوافقهم على ظلمهم وانحرافهم ولو بسكوته، وفي ذلك هلاك دينه وخسارة آخرته، وإما أن يخالفهم وينكر عليهم، وفي ذلك خطره، فهو في كلا الحالتين مفتون في دينه ودنياه.

حفظنا الله من غشيان أبوابهم والاجتماع بهم وعصمنا من الركون إليهم، آمين.

* * *

❋ فتنة الدنيا

[٨٢] عن عَمْرو بن عوف رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان النبي ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلّى رسول الله ﷺ انصرف فتعرّضوا له فتبسّم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين**»، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «**أبشروا وأملوا ما يسُرّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبسطَ الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافَسُوها كما تنافسوها فتُهلِككم كما أهلكتْهُم**»، وفي رواية: «**وتُلْهِيكم كما ألهتهُم**».

رواه أحمد (٤/١٣٧/٣٢٧)، والبخاري في الجزية (٧/٧٠/٧٢) وفي المغازي وفي الرقاق، ومسلم (١٨/٩٥)، والترمذي (٢٤٦٢) كلاهما في الزهد، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٧).

ويأتي أيضاً في الرقاق قوله: «أبشروا...» إلخ، أي: سيحصل لكم المقصود، وسيفتح الله عليكم ما تأملوه من الدنيا.

[٨٣] وعن عبدالله بن عَمرو رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أيُّ قوم أنتم؟**» قال عبدالرحمٰن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رسول الله ﷺ: «**أوَغير ذلك، تتنافسون**

ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ـ أو نحو ذلك ـ **ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»**.

رواه مسلم (٩٦/١٨) في الزهد، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٦).

[٨٤] وعن طلحة النضري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«عسى أن تدركوا زماناً حتى يُغْدَى على أحدِكم بِجفْنة ويُراح عليه بأخرى، وتلبسون أمثال أستار الكعبة»**، قالوا: يا رسول الله أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: **«بل أنتم اليوم متحابُّون، وأنتم يومئذ متباغضون يضربُ بعضكم رقاب بعض»**.

رواه أحمد (٣٨٧/٣) بسند صحيح. ورواه أيضاً الحاكم (١٥/٣) وصححه.

«يُغدى» بضم الياء: أي يؤتى عليه في وقت الغداء بجفنة من طعام ويؤتى عليه في المساء بمثلها. وقوله: «وتلبسون أمثال أستار الكعبة» أي: ترتدون الملابس الرفيعة الرائعة وتجاوزون الحد في ذلك، أو تتخذون أستاراً لبيوتكم وجدرانها كما يتخذ ذلك للكعبة.

وفي هذه الأحاديث معجزات للنبي ﷺ، كإخباره بفتح بلادَي فارس والروم وبسط الحياة على الناس وتوسعهم فيها حتى يأكلوا في اليوم عدة أكلات، ويظهر فيهم الترف الفاحش ويتفننون في أنواع الأقمشة والملابس ويصبحون لأجل ذلك متنافسين في الدنيا يتحاسدون عليها ثم يحملهم ذلك على التقاطع والتباغض والتقاتل فيهلكون كما هلك من كان قبلهم، وأنهم سينقلبون من خير وطمأنينة وأُخُوّة وتحابُب إلى شر وفتنة وتدابر... وقد حصل كل ما أخبر به ﷺ والصحابة لا يزالون متواجدين على قيد الحياة، فالدنيا هي فتنة هذه الأمة التي أهلكتهم كما في الحديث التالي:

[٨٥] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن هذا الدينار والدرهم أهلكا مَن كان قبلكم وهما مُهْلِكاكُم»**.

رواه أبو محمد بن شيبان العدل، والمخلص، كلاهما في «فوائديهما»

بسند صحيح على شرط مسلم. أفاده الشيخ ناصر في الصحيحة (١٧٠٣)، وأورده الحافظان المنذري والهيثمي برواية البزار وقالا: بإسناد جيد لكن من حديث ابن مسعود فالحديث صحيح.

وتخصيصه ﷺ الدينار والدرهم، لأنهما الأصل في المال ومتاع الدنيا.

* * *

❊ فتنة الأولاد

[٨٦] عن بريدة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «**صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرتُ إلى هذين الصَّبِيَّين يمشيان ويعثُران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**».

رواه أحمد (٣/٣٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي في المناقب (٣٥٤٦)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٠٠)، وابن حبان (٢٢٣٠) بأسانيد حسنة صحيحة.

فتنة الأولاد مع الأموال نصّ القرآن الكريم عليها، وما أعظمهما من فتنة، فالمال أمره واضح معلوم لكل الناس، أما الأولاد فلا يحس بفتنتهما ويذوقها إلا من ولد له ففتنتهم حاصلة في جميع مراحل حياتهم... بداية من الولادة فالرضاعة فالطفولة فالصبا فالشباب، وتعظم الفتنة وتشتد في بداية الشباب حتى الشيخوخة، ومن لم يقاسِ فتنة الأولاد ويعانها لم يولد بعد، ولم يُفتن قط، وعلى أيٍّ فالمال والبنون نعمتان من الله على العباد وهبتان وهبهما الله له، وهما زينة الحياة كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهما جمال هذه الحياة، فالحياة بدونهما حياة ناقصة، لكنهما فتنة وبلاء وامتحان قد يحولان بين العبد وبين سعادته الأبدية إذا انشغل بهما ولم

يقم بحق الله فيما وهبا له فعصى الله في سبيلهما ووقع في العظائم من أجلهما.

لكن الله عزّ وجل لطيف بعباده رحيم بهم فقد يغفر ما يحصل من فتنتهما بنحو صلاة وصدقة وصيام ونحو ذلك كما قدّمنا في حديث حذيفة: **«فتنةُ الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفِّرها الصلاة والصدقة والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**.

* * *

❋ فتنة النساء

[٨٧] عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُّ على الرجال من النساء»**.

رواه أحمد (٥/٢٠٠/٢٠١)، والبخاري في النكاح، ومسلم في الرقاق (١٧/٥٤)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٩٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩١)، والبيهقي في النكاح (٧/٩١).

[٨٨] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إن الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مُستَخْلِفُكُم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**.

وفي رواية: **«لينظر كيف تعملون»**.

رواه أحمد (٣/١٩/٢٢)، ومسلم في الرقاق (١٧/٥٥)، والترمذي في الزهد، وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٠).

«حلوة» أي: تستحليها النفوس. «خضرة»: بكسر الضاد أي: تعجب الناظرين ويحبونها كما يحبون الخضرة. «مستخلفكم» أي: جاعلكم تعمرونها وتخلفون فيها من سبقكم.

إن المرأة كلها فتنة صوتها وجمالها وجميع أطرافها وخاصة المثيرات منها كوجهها، ونهديها، وشعرها.. بل ومظهرها، ولذلك كانت أعظم فتنة للرجل وأضر عليه وأخطر من كل شيء، فحياتنا كلها فتن: فتنة المال، والغنى، وفتنة الفقر، وفتنة الأولاد، وفتنة الكفر، وفتنة المعاصي، وفتنة التفرُّق والاختلاف، وفتنة الحروب، وفتنة الظلم والظلمة، وفتنة الدجال وهي شر ما ينتظر... ورغم كل ذلك ففتنة المرأة أخطر شيء على الرجل بعد الكفر.

فهي أصل كل فتنة لا سيما بعدما طغت وأبانت عن وقاحتها، وخرجت عن طبيعتها وأنوثتها، وأصبحت تشارك الرجل في جميع ميادين الحياة: في الشارع، في المدرسة، في الجامعات، في المحاكم، في الدوائر، في الأندية، في المسرح، في الوزارة، في البرلمان... عارية متبرجة، متفرنجة، راقصة، مغنية... وجلبت على الرجل وخاصة المسلم الملتزم كل ويل وبلاء، وكلّفته ما لا طاقة له به، حتى قال ناصح معاصر غيور وهو يوسف النبهاني رحمه الله تعالى:

نساءٌ رجالٌ كالعُراة تَعَانَقُوا ... بأحْسنِ أشكالٍ تُثير الهوى قصرا
فلو نظر العِنِّينُ فيهنّ نظرةً ... لما احتاج في تقويم قُوتِه أُخْرى
وأتقى عباد الله ليس بمُمكنٍ ... هنالك تَقْواه إذا لم يكن صَخْرا
فإن لم يكن هذا زنا فإنه ... أخوه سوى أنّ الزنا فعلُه سِرّا
ومن قبل هذا ما سمِعنا بأُمّة ... قد استحسنَتْه هكذا عَلَناً جَهْرا
فنحمدُ رب العالمين لِشَرعِه ... حجاباً عن الإسلام قد حَجَبَ العُهْرَا

ولذا نبَّه النبي ﷺ إلى فتنة المرأة وجعل إقبالها وإدبارها كالشيطان، وأرشد أمته إن رأى أحد امرأة فأعجبته فليأتِ أهله ليخفف من الفتنة التي نزلت به.

[٨٩] فعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأتَه زينب وهي تَمْعَسُ مَنِيئة لها فقضى حاجتَه ثم خرج إلى أصحابه

فقال: «**إن المرأة تُقبِلُ في صورة شيطان، وتُدبرُ في صور شيطان، فإذا أبصر أحدُكم امرأةً فليأتِ أهلَه فإن ذلك يرد ما في نفسه**».

وفي رواية: «**إذا أحدكم أعجبته المرأةُ فوقعت في قلبه فليَغمِذ إلى امرأته فليواقِعْها فإن ذلك يردُّ ما في نفسه**».

وفي رواية: «**فإذا رأى أحدُكم امرأة فأعجبته فليأتِ أهله، فإنَّ معها مثل الذي معها**».

وفي رواية: كان النبي ﷺ جالساً فمرّت به امرأة فأعجبته... إلخ.

رواه أحمد (٣/٣٣٠/٣٤١/٣٤٨/٣٩٥) ومسلم (٩/١٧٧) وأبو داود (٢١٥١) والترمذي (١٠٤١) والنسائي في الكبرى (٥/٣٥) والبيهقي (٧/٩٠) كلهم في النكاح بألفاظ.

[٩٠] وعن أبي كبشة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه فدخل ثم خرج وقد اغتسل فقلنا: يا رسول الله قد كان شيء؟ قال: «**أجل، مرّت بي فلانةٌ فوقع في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي، فأصبتُها، فكذلك فافعلوا، فإنه من أماثل أعمالِكم إتيانُ الحلال**».

رواه أحمد (٤/٢٣١)، والطبراني في الأوسط (٣٢٧٥) وسنده حسن صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع (٦/٢٩٢) وقال: رجال أحمد ثقات.

قوله: «تمعس» بفتح التاء والسين بينهما ميم ساكنة، أي: تدلك. «منيئة»: بفتح الميم وكسر النون ثم همزة آخرها تاء، هو الجلد الذي يوضع في الدبغ. وقوله: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان...» إلخ، شبّهها بصورة الشيطان لأن مظهرها وبروزها يدعوان إلى الشر ويثيران الشهوة والفتنة والهوى وذلك لما جبل عليه الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بالنظر إليهن وما يتعلق بهن، فهي من هذه الناحية شبيهة بالشيطان في دعوته إلى الشر وتزيينه له فكانت لذلك كأنها شيطان.

ويؤخذ من الحديثين أمور ستة:

أولاً: الناس كلهم في الطبائع البشرية سواء، حتى أكابر الصالحين منهم، فهذا نبي الله ﷺ كان يتأثر بجمال النساء ويعجبه حسنهن، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾.

ثانياً: قد يترتب عن النظر إلى النساء فتنة لا يطفئها إلا قضاء الشهوة ولو كانت نظرة المفاجأة كما صدر من النبي ﷺ.

ثالثاً: فيهما إرشاد من النبي ﷺ لأمته إلى علاج الشهوة الجنسية إذا ثارت بالنظر إلى محاسن النساء، وذلك بقضائها من الزوجة في القريب العاجل لئلا يترتب على ثورانها ضرر في الجسم والقلب... فإن لم توجد زوجة فعلى الإنسان أن يتصبّر ويُكثر من الصيام أو يبحث عن الأدوية المادية التي تخفف من شهوته، وأن يبتعد كل البُعد عما يثير شهوته، والله المستعان.

رابعاً: فيهما أن الزوجة يجب عليها طاعة زوجها في قضاء شهوته ولو كانت في شغلها الشاغل.

خامساً: أخذ العلماء من الحديثين تقليل خروج المرأة ومرورها بين الرجال إلا لضرورة ملحّة خشية أن تفتن الرجال. وهذا قد أصبح في خبر كان اليوم لطغيان النساء وخروجهن عن تعاليم الإسلام وتجاوزهن الحدود التي أمرن بها أو نُهين عنها.

سادساً: ما جعله الله عزّ وجل من ميول الجنسين بعضهما لبعض وتبادل الالتذاذ بينهما هو من الابتلاء الإلٰهي الذي جعله تعالى في هذه الدار وما أعظمه وأشقه على نفوس المؤمنين، فإنه لا يصبر على ذلك ويجاهد نفسه عليه إلا أكابر الصالحين الذين أخلصهم الله تعالى لنفسه. فالله المستعان على هذه البلية.

* * *

❋ فتنة تفرُّق الأمة

[٩١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**.

رواه أبو داود في السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان كما تقدم، وحسّنه وصححه.

وفي رواية لمعاوية: **«ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**.

وفي رواية له: **«وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولا مفصل إلا دخله»**.

رواه أحمد وأبو داود (٤٥٩٧) بسند صحيح، وانظر ما سبق من الجزء الأول.

قوله: «تتجارى» التجاري الوقوع في الأهواء الضالة والتداعي فيها تشبيهاً بجري الفرس. و«الكلب»: بفتحتين داء يعرض للكلاب إذا عضّت حيواناً عرض له مرض خطير قد يقتله.

في الحديثين معجزة للنبي ﷺ في إخباره بالفتنة التي تصيب أمته من تفرُّقها واختلافها وتعاديها وأنها ستصل إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة منحرفة عن هدي القرآن والسنّة وطريق السلف، وأنها من أهل النار إلا واحدة فهي الناجية والسعيدة وهي المعبّر عنها في الحديث بالجماعة، وهم أهل الحق.

ويؤخذ من الحديثين أمور أربعة:

أولاً: تفرُّق الأمة في العقائد وأصول الدين وذلك مذموم، أما في الفروع فإن هذا التفرق والاختلاف فيه المحمود والمذموم وقد اختلف الصحابة والسلف في جزئيات كثيرة.

أما في العقائد فلم يختلفوا وما ظهرت العقائد الفاسدة كبدعة الرفض وغلو التشيُّع، والقَدَر، والاعتزال، والخروج على أئمة الحق، والنَّصْب وعداوة أهل البيت، والتعطيل، والتشبيه، والتجسيم إلا من غيرهم.

ثانياً: كل هذه الفرق مآلها النار لخروجها عن الحق وضلالها ولا ينجو منها إلا من كان على هدي الرسول ﷺ وأصحابه.

ثالثاً: قوله: «كلها في النار» لا يعني أنها كلها كافرة مخلّدة في النار بل فيها ما هو كافر بعقيدته وما هو مسلم فاسق فهو كباقي الفسّاق الذين ماتوا مصرّين على معاصيهم فهم في مشيئة الله تعالى سيحاسبهم وتوزن حسناتهم مع سيئاتهم، ومنها بدعهم وانحرافهم فما رجح كان العمل عليه ثم مشيئة الله تعالى، وهذا التقسيم مأخوذ من قوله ﷺ: **«وستفترق أمتي»** فنسبها إليه، فهم مسلمون إلا من خرج عنهم ببدعته. وفي هذا جواب عن الإشكال الذي استشكله بعضهم في الحديث.

رابعاً: قد ترتب على هذا التفرق فتن عظيمة حتى سفكت في سبيله الدماء و... مما هو معلوم في تاريخنا الطويل، ولا زلنا نعاني من ذلك من بعض الفرق كالرافضة مثلاً الذين انتشرت بدعتهم وعمت كثيراً من البلدان الإسلامية، وانطلت عقائدهم الفاسدة الخرافية على كثير من الناس.

* * *

❋ فتنة اتباع الكفار والتشبُّه بهم

[٩٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبْلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لتبعتموهم»** قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: **«فمَن؟»**.

رواه البخاري في الاعتصام (١٧/٦٣/٦٤) وفي الأنبياء (١٧)، ومسلم في العلم (١٦/٢١٩) وغيرهما.

«سنن»: بفتحتين، أي: طريق. «جحر ضب» أي: ثقبه الذي يأوي إليه. والضب بفتح الضاد مع تشديدها، حيوان معروف.

[٩٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمّتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»، قيل له: يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: «**من الناس إلا أولئك**».

رواه البخاري في الاعتصام (٦٣/١٧) ومثله عن أبي سعيد الخدري عند مسلم في العلم (٢١٩/١٦) وهو في الاعتصام من البخاري (٦٣/١٧).

في هذه الأحاديث معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر بأن الأمة ستقتفي أثر من قبلها من الكتابيين والمجوس وتقلدهم في شؤونهم كلها حسنها وقبيحها، وقد صدق ذلك الواقع فقد تبعوهم في جميع شؤونهم، في عقائدهم الكافرة، وأخلاقهم الفاسدة، وأحوال مجتمعاتهم الباطلة، وكل أهوائهم وأمورهم، وتبعوهم في أحوالهم الاجتماعية، واقتصادهم، وسياستهم، وأنظمتهم العسكرية، وقوانينهم في الحكم، وفصل الدين عن السياسة، وأنظمتهم في التعليم والمواد الدراسية، وفي الفنون الجميلة من أغاني ماجنة ورقص ورياضة عارية... وتشبههم بهم في ملابسهم وأزيائهم بذكورهم وإناثهم وجميع مظاهرهم حتى أصبحوا نسخاً من الكفار وذابت شخصيتهم وعروبتهم فيهم، ولم يعد يميز بين الكافر والمسلم وخاصة في الطبقة المثقفة والحاكمة، فهم أغرق الناس في اتباع حضارتهم القذرة وثقافتهم الفاسدة النتنة. وقد اتفق العلماء الأقدمون الربانيون على تحريم اتباع الكفار والتشبُّه بهم فيما يختصون به، وجاءت بذلك آيات من القرآن وأحاديث نبوية تحذر من ذلك وتنهى عنه، جمعها كثير من علمائنا رحمهم الله تعالى.

فهذه فتنة عارمة عمّت العالم الإسلامي إلا من شاء الله تعالى من المؤمنين الملتزمين.

[٩٤] وعن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حُنين، مرّ بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله هذا كما قال قوم**

موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ والذي نفسي بيده لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم».

رواه الترمذي في الفتن (٢٠١٠)، وأحمد (٢١٨/٥)، والحميدي (٨٤٨)، والنسائي في الكبرى (٥٩٩/٦) بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه.

«لَتركبُن»: أي لتتبعُنَّ.

* * *

عذاب هذه الأمة الفتن والزلال والقتل

[٩٥] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمّتي هذه أمّةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا الفتنُ، والزلازلُ، والقتلُ»**.

رواه أحمد (٤١٨/٤١٠/٤٠٨/٤)، وأبو داود في الفتن (٤٢٢٨)، والحاكم (٤٤٤/٤) من طريق هو بها صحيح.

في الحديث بشارة لهذه الأمة وأن الله عزّ وجل جعل حظها من عذاب الآخرة ما يصيبها في هذه الحياة من الفتن والزلازل والقتل فتذهب إلى الآخرة وقد غفر الله لها، نسأل الله عزّ وجل أن يسامحنا ويغفر لنا زلاّتنا وخطايانا وأن يعافينا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن بفضله وكرمه وإحسانه.

* * *